الطريق إلى نهضة الأمة الإسلامية

تأليف

د. سهير العلايلي





بسم الله الرحمن الرحيم

ربنا تقبل منا
إنك أنت السميع العليم

رقم الإيداع
١٠٩٨٦ / ٢٠٠٦
الترقيم الدولي
977-331-424-3

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٥٤٤٦٤٩٦

مقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، ﴿رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٨٦)﴾ [البقرة: ٢٨٦].

أما بعد:

فقد سبق أن صدر لي كتاب يُسمى «الحقيقية الغائبة» كان الغرض منه أن أُقرب المسلم من ربه، فيتعرف على خالقه، ويعرف قدره وعظمته ورحمته، فيحب ربه فيُقبل عليه ربه بعطفه ورحمته التي وسعت كل شيء، فيُحبه ويغفر له.

وأما هذا الكتاب فأردت به أن أُعلّم المسلم كيف يترجم هذا الحب إلى عمل يبرهن به على هذا الحب، فيغضب لغضبه، ويرضى لرضاه، فيزداد قربًا من ربه، ويرضى عنه ربه ويرضى هو عن ربه، فيصبح من حزب الله، ويتم إيمانه.

قال تعالى: ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٢٢) ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وقال ﷺ: «**من تمام الإيمان: الحب في الله، والبغض في الله**».

وإني لأكتب كلمات هذا الكتاب، وعيني تذرف الدمع، وقلبي يتمزق ألمًا وحسرة على ما آل إليه حال الأمة الإسلامية خاصة، وشعوب العالم عامة، فقد باتت الأمم لا همّ لها إلاّ التكالب على همِّ الدنيا الزائل، وغرّهم ما وصلوا إليه من علم وتكنولوچيا ابتلاهم ربنا بها، ولم يعد للدين ولا للمبادئ ولا للأخلاق مكانًا في حياتهم، فأصبح العالم غابة كبيرة تصغر تصرفات الحيوانات بعضها مع بعض أمام ما يفعله الإنسان بأخيه الإنسان.

وأصبح العالم يحكمه وحش مفترس كشّر عن أنيابه، وأسفر عن وجهه القبيح، ونصب شراكه؛ ليلتهم الفريسة تلو الفريسة من العالم الإسلامي؛ ليستولي على ثرواته، وأظهر صراحة عداوته للإسلام والمسلمين، وأعلنها حربًا ضارية لا هوادة فيها، أما المسلمين فأصبحوا من المستضعفين في الأرض في ذلّ ومهانة رغم امتلاكهم لثروة - المفترض - أن تتحكم في اقتصاد العالم، ولكنهم لم يُحسنوا استخدامها؛ لأنهم نسوا الله فانساهم أنفسهم.

وصدق ﷺ الذي كان يرى ما سوف يحدث للأمة، فهو الذي لا ينطق عن الهوى، حيث قال: «**تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها**».

قالوا: أمن قلّة يا رسول الله؟

قال: «**بل أنتم كثير، ولكن كغثاء السيل، تُنزع المهابة من قلوب أعدائكم، ويُقذف في قلوبكم الوهن**».

قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟

قال: «**حب الدنيا وكراهية الموت**».

فإن كانت الأمم غير المسلمة تركوا الدين حبًا في الدنيا ومتاعها، وفصلوا الدين عن الدنيا؛ وذلك لأن أمر الدين في أيدي رهبانهم، أما المسلمين فليس لهم حجة أن يسلكوا مسلكهم، وهم في أيديهم أعظم رسالة نزلت من السماء إلى أهل الأرض، وهي القرآن العظيم وهدى رسول الله ﷺ، يقرأونه ليلاً ونهاراً، يحثهم على طاعة ربهم ويتعلمون أن الطاعة هي سبيل السعادة في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (١٣٤)﴾ [النساء: ١٣٤].

أما ما آل إليه حال الأمة الإسلامية من ذلّ وهوان، فهو نتيجة بعدهم عن ربهم؛ لتقصير الأفراد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

أما ما آل إليه حال العالَم فهو نتيجة لتقصير الأمة الإسلامية في الدعوة إلى دين الله الحنيف، وكيف تقوم بهذه المهمة وهم أنفسهم مثلٌ سيّئ للدين؛ لأنهم لا يعملون بشرع الله.

إذن البداية هي إصلاح الفرد المسلم الذي يؤدي إلى إصلاح الأمة الإسلامية، فتتحقق خيريتها بين الأمم، ثم الدعوة إلى الإسلام، وبه يصلح حال العالم أجمع.

وهذا ما سوف نفصّله في هذا الكتاب، وأرجو من الله صاحب الفضل الأول والأخير الذي أعانني على كتابة هذاالكتاب أن يجعله بصيص نور نتحسس به طريقنا إلى لله عز وجل، فهذا الكتاب قبسٌ من النور الذي لا ينطفئ والمعين الذي لا ينضب القرآن الكريم وسُنة رسوله، فهو مرجعي الأساسي لهذا الكتاب، وأما المرجع الثاني فهو كتاب إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي - حجة الإسلام رحمه الله - .

وأرجو من الله عز وجل أن يتقبل هذا العمل ويجعله خالصًا لوجهه الكريم، ويكون سببًا في هداية كل من قرأه، وأدعو ربي عز وجل أن ينصر الإسلام والمسلمين، وأن يرفع عنّا غضبه ومقته، إنه وليّ ذلك والقادر عليه.

والحمد لله على نعمة العقل، والحمد لله على نعمة

العلم والهداية، والحمد لله على نعمة الإسلام، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم وللمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات.

وصلى الله على نبيّنا محمد في الأولين وفي الآخرين وفي الملأ الأعلى إلى يوم الدين.

كتبته

الفقيرة إلى الله

د. سهير العلايلي

٥ رجب ١٤٢٧ هـ

٣٠ / ٧ / ٢٠٠٦م

مكانة العقل في الإسلام

خلقَ الله سبحانه وتعالى جميع مخلوقاته يعبدون ويسبحون ويُقدّسون بالفطرة، قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ [الإسراء: ٤٤].

وكذلك الملائكة يسبحون الله ويُطيعونه ولا يعصونه - أيضًا - بالفطرة، قال تعالى: ﴿ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٦].

أما الإنسان فقد كرمه الله تعالى بنعمة العقل، وهو أكرم خلق الله على الله؛ ولذا أمر الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام. قال تعالى: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ [ص: ٧٢].

وفي حديث طويل في وصف العرش جاء في آخره: **«أن الملائكة قالت: يا ربنا، هل خلقت شيئًا أعظم من العرش، قال تعالى: نعم، العقل»**.

فبهذا العقل يأتي الإنسان إلى ربه طائعًا بإرادته لا بالفطرة كالملائكة وباقي المخلوقات، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٦٥].

والعقل هو مناط التكليف وبه تقوم الحجة على الإنسان يوم القيامة، ومعنى التكليف أن الإنسان مخير بهذا العقل بين الخير والشر، فإن اختار طريق الشر كان في مكانته عند الله أقل من البهائم.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

ومعنى العبودية لله تعالى هو الميثاق الذي أخذه الله تعالى بهذا العقل على ذرية آدم وهم في صلبه أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ

﴿الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

وهذه هي الفطرة السليمة التي يولد عليها الطفل، فيُغيِّرها أبواه واتباع الهوى والشيطان، قال ﷺ: **«يولد الطفل على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجّسانه»** ونجد هذه الفطرة أيضًا عندما يتعرض الإنسان إلى مكروه، فلا يجد إلا الله ملجأ وملاذًا، فيتجه إليه بالتضرع والدعاء، حتى الكافر والمشرك.

قال تعالى: ﴿**قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٤٠) بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ (٤١)**﴾

[الأنعام: ٤٠، ٤١].

فالعاقل هو الذي يطيع الله ولا يعصيه بقدر استطاعته، قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ (١٨)**﴾ [الزمر: ١٨]، أي أولوا العقول.

وقال ﷺ: **«أتمّكم عقلاً أشدكم لله خشية، وأحسنكم**

فيما أمر ونهى عنه نظراً وإن كان أقلكم تطوعاً».

فبهذا العقل يتفكر الإنسان العاقل في آيات الله الكونية، فيعرف أن وراء هذا الكون العظيم خالق أعظم، قال تعالى: ﴿ **وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ** (٤) ﴾ [الرعد: ٤].

فعندما هبط آدم عليه السلام إلى الأرض أعطاه ربنا عز وجل سلاحين يتصدّى بهما لأعدى أعدائه وهما الشيطان واتباع الهوى.

فأما السلاح الأول: فهو الفطرة السليمة وهي عبادته وحده، وهو الميثاق الذي أخذه عليه وعلى ذريّته.

وأما السلاح الثاني: فهو العقل الذي يميز به بين الخير والشر، فإذا لم يستخدم الإنسان هذا العقل، واتبع هواه والشيطان أصبح غير عاقل، ويكون مثله كالأنعام، بل أضل، قال تعالى: ﴿ **أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ**

وَكِيلاً (٤٣) أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً (٤٤) ﴾ [الفرقان: ٤٣، ٤٤].

ولذا يعترف الكافر يوم القيامة بأنه كان غير عاقل ويندم، قال تعالى: ﴿ **وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (١٠)** ﴾ [الملك: ١٠]، ومعنى كلمة يعقل في اللغة: يربط أو يضبط، ومنها اشتق كلمة العقل.

فالعقل هو الذي يعقل ويضبط تصرفات الإنسان، فيمنعه من ارتكاب أي حماقة تتنافى مع إنسانيته أو تصرف يضره، وهل هناك أضرّ على الإنسان من غضب ربه عليه، فيكون من أصحاب النار، فإذا عقل الإنسان تصرفاته كانت موافقة للشرع، وإذا خالف الشرع كان لاغيًا لعقله الذي كرّمه الله به وأصبح غير عاقل، قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً (٧٠)** ﴾ [الإسراء: ٧٠].

أليس من الخساسة وسوء الخُلُق أن نُقابل من أسدى إليك معروفًا بالجحود والنكران، فما بالك برب العالمين الذي

كرّمك على كثير من مخلوقاته، وخلقك ورزقك، وأعطاك نعمًا لا حصر لها ولا عدّ، وأعظمها نعمة العقل. فلله الحمد والمنّة على ما وهبنا من نعم كثيرة وكرمنا على سائر مخلوقاته.

والعقل هو الوسيلة لتعلم العلوم التي بها يسمو عقل الإنسان ويعرف كيف يعبد ربه حق عبادته ويُطيعه، قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٣]، فالعقل مثله كالبصر يُبصر به حقيقة الأمور؛ لذا سمي بالبصيرة.

وأما العلم فهو كالنور يرى به الأشياء، فلو تعلّم واتبع هواه كان كالأعمى الذي لا يُبصر، فلا يُفيده علمه، ومن كان عاقلاً يعبد ربه بغير علم كان كمن يمشي في الظلام لا يرى طريقه؛ فيضلّ الطريق.

فالعقل والعلم كلٌّ يُكمل الآخر، لا ينفصلان؛ لذا قال تعالى في الآية السابقة: ﴿ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ ﴾، فجمع بين العلم والعقل، فالطفل يُولد على الفطرة السليمة، وهي

حب الله، وتوحيده فإذا كبر وتعلم هُديَ إلى الصراط المستقيم، وإذا لم يتعلم سار في الظلام يتخبّط ويرى الحق باطلاً، والباطل حق، ولا ينفعه عقله.

مكانة العلم والعلماء في الإسلام

مما سبق علمنا أن العلم هو الذي يهدي الإنسان إلى طريق الخير، والعقل هو الوسيلة للتعلم، سواء كان علم الدين أو علم الدنيا.

أما علم الدنيا، فالكل يعرف أهميته، وأنه طريق الحضارة والتقدم. أما علوم الدين من أهميتها:

[١] يعرف الإنسان بها ربه ، فيعبده حق عبادته ويداوم على العبادة من صلاة وزكاة وصيام وحج، ويُعظّم شعائر الله، قال تعالى ﴿ **ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ** ﴿٣٢﴾ ﴾ [الحج : ٣٢].

[٢] يعرف الحلال والحرام وأوامر ربنا ونواهيه، فيتقي الله في معاملاته، قال تعالى : ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ** ﴿٢٨﴾ ﴾ [فاطر : ٢٨].

[٣] يعرف أن الدنيا إلى زوال، وأن الآخرة هي خيرٌ وأبقى، فيزهد في الدنيا، ويكون عمله للآخرة،

ويزهد فيما عند الناس، فيحبه الله ويحبه الناس، قال ﷺ: **«ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس»**.

[٤] يكون عمله خالصًا لوجه الله، لا رياء فيه ولا سمعة، فيقبله الله تعالى منه، وينتفع به في الدنيا والآخرة.

[٥] يعرف سنن الله في كونه ويعرف أنباء الأمم السابقة، وكيف عاقبهم الله عندما كذّبوا الرسل فيعتبر، قال تعالى: ﴿ **أَوَ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ** ﴾ [السجدة: ٢٦].

[٦] يعرف صفات المتقين وجزاؤهم عند الله، فيُسارع إلى الطاعة؛ ليكون منهم ويحظى بمعية الله تعالى، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ (١٢٨)** ﴾ [النحل: ١٢٨].

[٧] يؤمن بالقضاء والقدر، فلا يفرح في المسرات، ولا يسخط في الملمّات، ويكون مطمئن النفس راضٍ بما قسم الله له، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩)**

إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلاَّ الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [المعارج: ١٩ - ٢٢]، وقال ﷺ: **«عجبًا لأمر المؤمن، فإن أمره كله له خير، إن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له، وإن أصابته سرّاء شكر فكان خيراً له، وليس ذلك إلاّ للمؤمن»**.

[٨] يحصل على سعادة الدارين في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾** ﴾ [النحل: ٩٧]، ومن الحياة الطيبة معرفة علوم الدنيا التي يحصل بها على شرف الدنيا بدليل أن علماء المسلمين في عصر نهضة الأمة الإسلامية الذين أثروا الحياة من علوم الدنيا بدأوا حياتهم بتعلم علوم الدين، ثم فتح الله عليهم بعلوم الدنيا، أمثال ابن سينا والفارابي.

[٩] يستطيع بهذا العلم أن يفرق بين الحق والباطل، قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ** ﴾ [الأنفال: ٢٩].

[١٠] يستطيع أن يعرف وسوسة الشيطان فلا يتبعه، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ** ﴾ [الأعراف: ٢٠١]، وقال ﷺ: «**عالمٌ واحد أشد على الشيطان من ألف عابد**».

[١١] إيمانه بالقضاء والقدر وأن رزقه وأجله مكتوب قبل أن يولد يجعله شجاعًا لا يهاب الموت، فيدافع دينه ووطنه بماله وروحه. ذو شخصية قوية يقول الحق ولا يخشى في الله لومة لائم ولا ظلم ظالم.

وليحذر طالب العلم من ارتكاب المعاصي؛ فإن علم الدين نور لا يُعطيه الله لعاصي، ولكن يُعطيه لمن أحبه.

والله لا يحب الفاسقين ولا الظالمين، ولكن يحب المتقين والمحسنين، قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ** ﴾ [الأنفال: ٢٩]، وقال ﷺ: «**من يُرد الله به خيرًا يُفقهه في الدين**»، وقال ﷺ: «**إن الله يُعطي الدنيا لمن أحب ومن لم يحبه، أما الدين فلا يعطيه إلاَّ لمن أحبه الله**».

وقال تعالى: ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

والحكمة هي العلم الذي يؤدي إلى العمل، فالعلم فضلٌ من الله ومنّة، يُعطيه لمن يعمل به، ولو كان آية واحدة، فهو خير ممن حفظ القرآن كله ولم يعمل به، فإذا عمل الإنسان بما علم زاده الله تعالى علمًا، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴿١٧﴾ ﴾ [محمد: ١٧]، وقال تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، وقال ﷺ: «من عمل بما علم علّمه الله علم ما لم يعلم».

فالعمل يثبت العلم في قلب الإنسان، ويظهر على جوارحه، ويُصبح قرآنًا يمشي به على الأرض، كما وصفت السيدة عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ، فإذا وصل إلى هذه الدرجة أصبح نوراً يُضيء لمن حوله، ويهتدوا به في ظلمات الضلالة وأثناء الفتن.

قال تعالى: ﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ

لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٢٢]، فهو يدعو الناس بعلمه وعمله فيأخذ أجر كل من اهتدى، قال ﷺ: **«من دعا إلى هدى كان له أجر من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا»**.

وليكن طلب العلم خالصًا لوجه الله لا من أجل دنيا يُصيبها؛ حتى لا يكون أول من تُسعر به النار، روي من حديث أبي هريرة الذي رواه مسلم: « .. **رجل تعلم العلم وعلمه، وقرأ القرآن، فأتى به فعرفه نعمه فعرفها، فقال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلّمته وقرأت فيك القرآن. قال: كذبت، ولكنك تعلّمت ليقال عالم، وقرأت ليُقال هو قارئ، فقد قيل، ثم أُمر به فسُحب على وجهه حتى أُلقي في النار..**».

ولا يكتم من العلم شيئًا إذا سُئل؛ فالعلم أمانة، وتعليم الناس زكاة العلم:

قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ**.

اللاعنون (١٥٩) ﴾ [البقرة: ١٥٩]، وقال ﷺ: «من كتم علمًا ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار» [رواه ابن حبان].

ثواب تعليم الناس العلم:

وفي المقابل نجد أجر معلم الناس العلم كبيرًا، قال ﷺ: «**يا أبا ذر، لأن تغدو تُعلِّم الناس آية من كتاب الله خيرٌ لك من صلاة مائة ركعة، ولئن تغدو تعلم الناس بابا من العلم عُمِلَ به أو لم يُعمل به خير لك من صلاة ألف ركعة**»، وقال ﷺ: «**مُعلِّم الناس الخير يستغفر له كل من في الأرض حتى الحوت في البحر**».

نخلص مما سبق أن معرفة الله عز وجل تأتي عن طريق:

[١] الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها، وهي تظل مُلازمة لمن لم يرتكب المعاصي، قال تعالى: ﴿ **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٣٠)** ﴾ [الروم: ٣٠].

[٢] الآيات الكونية التي تدل على وجود الله عز وجل،

وهذه يصل إليها العاقلون وأولوا الألباب بالتفكّر فيها وهم القائمون على طاعة الله وهم الراشدون؛ لذا قال تعالى عن سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [الأنبياء: ٥١]، فلقد عرف اللهَ بالتفكر في آياته الكونية. وقال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [الأنعام: ٧٥]، وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ ﴾ [لقمان: ٣١]، أي صبّار عن معاصي الله، شكور لنعمه، فإذا كان كذلك تفكّر في آيات الله الكونية، وآمن بقدرة الله وعظمته.

[٣] علم الدين الذي جاء به الرسل ومن بعدهم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء، وهي ايات الله المسطورة ومن بعدهم الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر في كل زمان يُعلّمون الناس أمور دينهم.

وأذكر في هذا الصدد أنني دعوتُ ربي وأنا دون السابعة من عمري بدعاء خفي في نفسي، واستجاب لي ربي، فمن الذي علّمني أن أدعوه، وأنّ هناك ربًّا سوف يستجيب لي إلاّ هذه الفطرة التي فطر الله الناس عليها، والميثاق الذي أخذه عليهم، وهم في صُلب آدم عليه السلام كما سبق أن أوضحنا.

تفاوت الناس في درجة تقبلهم للعلم

لما كان الناس يتفاوتون في قدر ما أُعطوا من عقل؛ لذا فهم أيضًا يتفاوتون في درجة تقبلهم للعلم والهداية، فمنهم من يهديه الله بالفطرة السليمة ويُلهمه رشده مثل الأنبياء، ومن سار على دربهم من حواريين وتابعين وأولياء الله الصالحين، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [الأنبياء: ٥١]، وقال ﷺ: **«من يُرد الله به خيرًا يُفقهه في الدين ويلهمه رشده»**.

وقال تعالى عن سليمان عليه السلام: ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [الأنبياء: ٧٩].

ومثل أبا ذر الغفاري الذي هداه الله للتوحيد بالفطرة قبل بعثة الرسول ﷺ بثلاث سنوات.

وهؤلاء هم أعلى الدرجات عند الله عز وجل، وهم الذين خصّهم الله بعلمه، وهم العارفون بالله، وهم الذين يُرشدون الناس ويُعلمونهم، ومن الناس من يحتاج إلى من

يُرشده ويساعده على الهداية من الرسل والعلماء والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر.

وهؤلاء منهم من يقبل العلم ويعمل ويُعلّم، ومنهم لا يقبل، ومنهم من يقبل ولكن لا يُعلِّم، قال ﷺ: «**مثل ما جئت به من العلم كمثل غيث أصاب أرضًا، فكان منها نقية قبلت الماء، فأنبتت الكلأ، وكان منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصابت طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تُمسك ماء ولا تُنبت كلأً، فذلك مثل من فقه في دين الله فعلم وعلّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به**» [رواه البخاري].

وقال تعالى: ﴿ **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٣٢)** ﴾ [فاطر: ٣٢]. أي أعطينا القرآن لأمتك وهم المسلمون، فمنهم مقصر في العمل، ومنهم من يعمل به أغلب الأوقات، فيستفيد ولا يفيد فيعلم الناس، ومنهم من يعمل ويُعلّم، وذلك هو الفضل الكبير وهم أفضل الدرجات.

سبب إعراض الناس عن الهدى

[١] حب الدنيا وهي رأس كل خطيئة؛ لأنها هي العاجلة، قال تعالى: ﴿كَلاَّ بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ (٢٠) وَتَذَرُونَ الآخِرَةَ(٢١)﴾ [القيامة: ٢٠، ٢١].

[٢] اتباع الهوى وحب الشهوات فيطبع الله على قلبه، فلا يقبل هدىً، قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ (٢٣)﴾ [الجاثية: ٢٣].

[٣] الغفلة وهي نتيجة لاتباع الهوى فهي تصم الآذان وتعمي الأبصار والقلوب، وتصد الإنسان عن الهدى، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٧٩)﴾ [الأعراف: ١٧٩].

[٤] عدم ذكر الله والمداومة على فعل الخيرات والعبادات، وخاصة الصلاة، قال تعالى: ﴿ **وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (٣٦) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ (٣٧)** ﴾ [الزخرف: ٣٦، ٣٧]، فإذا أصبح الشيطان قرينًا للإنسان، صدّه عن الحق، ويرى الحق باطلاً والباطل حقًا، ويحسب أنه على الهدى، فلا يقبل هدى الله.

[٥] مصاحبة رفقاء السوء، وهؤلاء شياطين الإنس، وهم أشد خطرًا على الإنسان من شياطين الجن، فشيطان الجن ينصرف بمجرد ذكر الله والاستعاذة بالله منه، وكيده كذلك ضعيفًا، كما أن الإنسان لا يراه، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا (٧٦)** ﴾ [النساء. ٧٦]، أما شياطين الإنس يراهم ويزينوا للإنسان المنكر، بأفعالهم وأقوالهم فيقلدهم، قال ﷺ: «**المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل**»، ومن رفقاء السوء في عصرنا الحديث المغنيين والممثلين والممثلات الذين يدخلون البيت بترحيب من

صاحبه، عندما يفتح لهم الباب عن طريق التليفزيون فيُجالسهم ويصاحبهم، ثم يُقلّدهم فيما يدعون إليه من مساوئ الأخلاق والعادات دون وعي أو إدراك، فيندم يوم القيامة أشد الندم، قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الزخرف: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الفرقان: ٢٧، ٢٨].

[٦] عدم إنكار المنكر، بل استحسانه وذلك نتيجة لمرافقة أهل المنكرات، فيصبح المنكر معروفًا والمعروف منكرًا، ويطبع الله على قلبه، قال ﷺ: «**تُعرض الفتن على القلوب كعرض الحصير عودًا عودًا، فأي قلب أُشربها نُكت في قلبه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكت في قلبه نكتة بيضاء، حتى تعود القلوب على قلبين: قلبٌ أسود مرباد كالكوز مجخيًا لا يعرف معروفًا، ولا يُنكر منكرًا إلاّ ما أُشرب هواه، وقلب أبيض لا تضره**

فتنة مادامت السموات والأرض» [رواه مسلم] .

[٧] كثرة المعاصي والإصرار عليها مما يؤدي إلى الطبع على القلب، وخاصة من تعدى الأربعين، قال ﷺ : **«إذا أذنب العبد ذنبًا نكت في قلبه نكتة سوداء، فإن تاب واستغفر صُقل قلبه، وإن أصرَّ زادت النكتة السوداء إلى أن يتكون الران، واقرأوا إن شئتم : ﴿ كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾** [المطففين: ١٤] (أخرجه الترمذي ٣٣٣٤)، فإذا طُبع على قلبه نتيجة لتكون الران، فلا يقبل هدىً أبداً، قال تعالى: **﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴾** [الكهف : ٥٧] .

[٨] تقليد الناس بعضهم لبعض خاصة الآباء والأمهات، والصغير للكبير، والفقير للغني، حتى تُصبح عادة ألفوها لا يستطيعون تركها، قال تعالى: **﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ**

كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ [البقرة : ١٧٠]، ويوم القيامة يتبرأون منهم، فيندموا على اتباعهم عندما يروا العذاب، قا تعالى: ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٦٦، ١٦٧].

[٩] تضارب المصالح، فكل واحد يُريد مصلحته على حساب الآخرين أو على حساب الدين.

[١٠] الفهم الخاطئ للدين فيطمعون في عفو الله، وهم مصرون على المعاصي، وهو غرور بالله، قال تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا ﴾ [الأعراف: ١٦٩].

لماذا يُرسل ربنا الرسل للناس وهو قادر على هدايتهم:

ومن رحمة الله عز وجل بالإنسان أن يعينه على طاعته بالملك الموكّل به، الملك الذي يكتب الحسنات، فإن للملك

لمة وللشيطان لمة، قال ﷺ: **«إن للشيطان لمة، وللملك لمة، فأما لمة الشيطان فإيعاذ بالشر وتكذيب بالحق وأما لمة الملك فإيعاذ بالخير وتصديق بالحق»** [صحيح بن حبان ٢٧٨].

وأيضًا من رحمة الله عز وجل بعباده أن يُرسل إليهم الرسل كل حقبة من الزمان؛ ليهدوهم ويعينوهم على طاعة الله عز وجل، قال تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وهؤلاء الرسل يكونون منهم عُرف عنهم الصلاح وحسن الخلق، يتكلمون بلسانهم فيكونون مقربين إلى قلوبهم.

قال تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٤)** ﴾ [إبراهيم: ٤]، وقال سبحانه: ﴿ **لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ (١٦٤)** ﴾

[آل عمران: ١٦٤].

وهؤلاء الرسل يأتون بالرسالات، ويُعلّمون الناس ما أُنزل

إليهم من كتب وحكم يذكّرونهم بالله وقدرته على الخلق ونعمائه التي لا تُعد ولا تُحصى، ويعظونهم بأخبار من سبقهم من الأمم، وكيف أخذهم الله بالعذاب عندما أعرضوا عن طاعة الله، مبشّرين ومنذرين، فالعاقل منهم يقبل الهداية ويتبع الرسل ويؤمن بالله ويُطيعه.

أما من اعتاد الكفر والضلالة لا يقبل الهداية؛ لأنها لا توافق أهواءهم وما اعتادوا عليه، فيكذبوا الرسل ويتهمونهم بالجنون والسحر، رغم تيقّنهم من صدقهم؛ فهم لا يكذبون عليهم، فكيف يكذبون على الله، قال تعالى: ﴿ **كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ** ﴾ [الذاريات: ٥٢]، وعند ذلك تقوم عليهم الحجة في الدنيا، فيأخذهم ربهم بعذاب من عنده؛ لعلّهم يرجعون عمّا هم فيه من كفر، و هذا أيضًا من رحمة الله؛ لأن عذاب الدنيا أهون بكثير من عذاب الآخرة، وأيضًا ليكونوا عبرة لغيرهم فتأتيهم الزلازل والبراكين والأمراض وما إلى ذلك.

قال تعالى: ﴿ **ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي**

النَّاس لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٤١) ﴾ [الروم : ٤١]، فيعتبر من يعتبر في الدنيا ويتوب الله على من تاب وآمن، ويبقى آخرين لا يعتبرون، ويُصرون على ما هم عليه من كفر، ويقولون هذه ظواهر طبيعية حدثت لآبائنا من قبل، أو أنها غضب الطبيعة تحدث بين الحين والآخر على مرّ الزمان.

قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلاَّ أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ (٩٤) ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوْا وَّقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُم بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ (٩٥) ﴾ [الأعراف: ٩٤، ٩٥]، فهؤلاء وأمثالهم يملي لهم ربنا عز وجل في الدنيا حتى إذا أخذهم لم يُفلتهم ويكون عذابهم في الآخرة عظيم.

قال ﷺ: «**إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يُفلته**» [صحيح مسلم ١٩٩٧] وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ (٤٤) فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٥) ﴾ [الأنعام: ٤٤، ٤٥].

فهذا عدل الله يُرسل الرسل إلى الناس، فإن كفر معظمهم نزل عليهم العذاب من الله، قال تعالى: ﴿ ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ (١٣١) ﴾ [الأنعام: ١٣١]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ (١٠٢) ﴾ [الأعراف: ١٠٢].

وهذا عذاب الدنيا، وفي الآخرة عذاب أشدّ، قال تعالى: ﴿ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٣٣) ﴾ [القلم: ٣٣].

وأما من آمن بالرسل ينجيهم ربهم من العذاب، ويكون في الآخر من أهل الجنة، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ (١٠٣) ﴾ [يونس: ١٠٣].

فهذه مهمة الرسل مبشرين لمن آمن بهم ومنذرين لمن كفر، قال تعالى: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٤٨) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (٤٩) ﴾ [الأنعام: ٤٨، ٤٩].

وهذه سُنَّة الله في خلقه، ولن تجد لسنّة الله تبديلاً،

ولئلا يكون لهم على الله حجة بعد الرسل، قال تعالى: ﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً (٤٣) ﴾ [فاطر: ٤٣]، وقال تعالى: ﴿ رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٦٥) ﴾ [النساء: ١٦٥].

فيوم القيامة عند الحساب يسألهم ربهم عز وجل؛ لكي يقرّوا بذنبهم ويشهدوا على أنفسهم، قال تعالى: ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ (١٣٠) ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ (١٣١) ﴾ [الأنعام: ١٣٠، ١٣١].

ويوضع الكتاب مسطر فيه كل كبيرة وصغيرة وهم مشفقون مما فيه، قال تعالى: ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾

[الكهف: ٤٩]، ويؤتى بالرسل والشهداء؛ ليشهدوا عليهم، قال تعالى: ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾ [الزمر: ٦٩]، وتسألهم الملائكة وهم يساقون إلى جهنّم زمرًا سؤالاً تقريريًا أيضًا، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٧١) ﴾ [الزمر: ٧١].

فلا تكن لهم حجة ويُقروا بكفرهم، وإن أنكروا يختم الله على أفواههم، وتشهد عليهم أعضاؤهم بالكفر، قال تعالى: ﴿ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٦٥) ﴾ [يس: ٦٥].

حتى جلودهم تشهد عليهم أيضًا، ويُنطقها الله، قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢١) ﴾ [فُصّلت: ٢١]، فهذه رحمة الله بعباده أن يُرسل إليهم الرسل، وهذا عدلُ الله في عقابه بعد أن تقوم عليهم الحجة

بشهادة الرسل وشهادتهم على أنفسهم.

ويأتي رسولنا الكريم شهيداً على أمته أنه بلّغهم الرسالة، وتكون أمته شهداء على الناس بأنهم جاءتهم رسلهم بالبيّنات، قال تعالى: ﴿ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ [الحج: ٨٧]، ويأتي من كل أمة برسولهم ليشهد عليهم ويأتي رسولنا الكريم، ويشهد عليهم جميعًا، قال تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلاءِ شَهِيدًا (٤١) ﴾ [النساء: ٤١].

وهكذا نجد أن مهمة الرسول هي البلاغ بأوامر الله ونواهيه، ثم يكون لهم نذيراً بعذاب الله لمن عصاه، مبشراً لمن أطاعه بالنعيم في الدنيا والآخرة، ثم شهيداً عليهم يوم القيامة، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا (٤٦) وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيرًا (٤٧) ﴾ [الأحزاب: ٤٥ - ٤٧].

القرآن أمانة في أيدي المسلمين

مما سبق تبين أهمية إرسال الرسل إلى أهل الأرض، فهذه الرسالات هي التي تربط أهل الأرض بخالقهم، وقد خُتمت برسالة نبينا ﷺ، وهي القرآن الكريم، الذي تعهّد الله بحفظه إلى يوم الدين.

وقد أخذ الله الميثاق على الأمم السابقة أن يعملوا بما أُنزل إليهم من كتب ويُؤمنوا بمن يأتي من بعدهم من رسل، واستحفظوا عليها، أي أُمروا أن يحفظوها، وأن يبلّغوها للناس ولا يكتموها، قال تعالى: ﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ** ﴾

[المائدة: ٤٤].

ولكنهم لم يحفظوا هذه الأمانة وضيّعوها، ونقضوا المواثيق، وحرّفوا الكتب، وأخفوا بعضها حسب أهوائهم،

وكفروا بمحمد ﷺ، وما جاء به، فلعنهم الله، وجعل قلوبهم قاسية، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ (١٨٧) ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، وكذّبوا النّبيّ ﷺ رغم علمهم بصفته التي جاءت في كتبهم التوراة والإنجيل، وقالوا: ما أنزل الله على بشر من شيء، قال تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ (٩١) ﴾ [الأنعام: ٩١].

فكانوا يخفون صفة النبيّ ﷺ التي جاءت في كتبهم؛ لئلاّ يؤمن به أتباعهم، قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤٦) ﴾ [البقرة: ١٤٦].

وأخذ الله الميثاق على النبيّين وأتباعهم أن يؤمنوا

بالرسول ﷺ إذا جاءهم، وأن ينصروه، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ (٨١) ﴾ [آل عمران: ٨١].

ورغم كل ذلك كفروا بالرسول وكذبوه وكفروا بما جاء به إلا قليل من أحبارهم أمثال عبد الله بن سلام الذي كان يعرف صفة الرسول من الكتب، قال تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (١١٤) ﴾ [الأنعام: ١١٤].

وقد كانت بعثة النّبيّ ﷺ لأهل الكتاب؛ ليُبيّن لهم ما كانوا يخفون من الأحكام ويُيسّر لهم الدين ويكون حجة عليهم يوم القيامة، فلا يقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير، قال تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ

وكتاب مبين ﴿١٥﴾ ﴾ [المائدة: ١٥]، وقال تعالى: ﴿ **يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير** ﴿١٩﴾ ﴾ [المائدة: ١٩].

ولما كان هذا هو حال الأمم السابقة جاءت رسالة نبينا ﷺ الخاتمة وتعهد ربنا عز وجل بحفظها من التحريف أو التبديل إلى يوم القيامة، قال تعالى: ﴿ **ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما** ﴿٤٠﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر: ٩].

وكانت رسالة النبي ﷺ للناس كافة، قال تعالى: ﴿ **وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾ [سبأ: ٢٨]، كذلك كانت رسالته ﷺ للجن أيضا، قال تعالى: ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، أي للإنس والجن، فكان منهم المؤمن ومنهم الفاسق، قال تعالى: ﴿ **وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن**

أَسْلَمَ فَأُوْلَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا (١٤) وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا(١٥) ﴾ [الجن: ١٤، ١٥].

وكانت رسالته ﷺ وهي القرآن الكريم مصداقًا لما جاء في التوراة والإنجيل والكتب السابقة ومهيمنًا عليها، أي شاهدًا عليها؛ لأن فيه إخبارهم، قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ﴾ [المائدة: ٤٨].

لقد توفي ﷺ وانتهى زمن إرسال الرسل إلى أهل الأرض، فهل انقطعت صلة أهل الأرض بالله؟، لا؛ إن الرسالة التي تربط أهل الأرض بالله باقية إلى يوم الدين، وهو القرآن العظيم الذي حفظه الله من التبديل والتحريف، فهو حبل الله المتين والنور المبين، وهو أمانة في أيدي المسلمين عامة، والعلماء خاصة؛ لأنهم ورثة الأنبياء ليعملوا به وينشروه بينهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم تبليغها إلى غير المسلمين وما أعظمها وأثقلها من أمانة أبت السماوات والأرض أن تحملها وحملها الإنسان، قال تعالى:

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (٧٢) ﴾ [الأحزاب: ٧٢]، وحمّلنا الله عز وجل ورسوله الكريم هذه الأمانة، قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، وقال ﷺ: «**بلّغوا عنّي ولو آية**». وقال ﷺ في خطبة الوداع: «**فليبلّغ الشاهد الغائب**».

وكان الصحابة ﷺ ما يقرب من سبعين ألفًا حملوا هذه الأمانة وانتشروا في أرجاء المعمورة؛ ليبلّغوا الناس بأفعالهم قبل أقوالهم، فدخل الناس في دين الله أفواجًا حتى وصل الإسلام إلى أقصى مشارق الأرض ومغاربها.

فهل فعل المسلمون اليوم مثل ذلك أم ضيّعوا هذه الأمانة، كما فعل من قبلهم من الأمم السابقة، فيلعنهم الله كما لعنهم، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (١٥٩) ﴾ [البقرة: ١٥٩].

ولُعن الذين كفروا من بني إسرائيل بتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩].

فما أكثر حفظة القرآن في كل زمان، ولكن ما أقل العاملين به، والذين يُعلّمون الناس ولا يكتمونه ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، لقد شبّه الله اليهودَ الذين يحملون التوراة ولا يعملون بها بالحمار يحمل فوق ظهره كُتبًا لا يدري ما بها، ولا ينتفع بها، قال تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾ ﴾ [الجمعة: ٥]، فهل هناك مثل أحقر من هذا.

لذا قال ﷺ عن رب العزة سبحانه: **«لا يحقرن أحدكم نفسه»** قالوا: يا رسول الله، كيف يحقرن أحدنا نفسه؟ قال: **«يرى مقالة لله ولا يتكلم** (أي أمر بمعروف ونهى عن

منكر) **فيأتي يوم القيامة يسأله ربه ما منعك أن تقول في كذا وكذا؟** (يعني الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) **فيقول: يا ربي مخافة الناس. يقول ربنا عز وجل: إياي أحق أن تخاف، ثم يُؤخذ إلى النار»** [مسند أحمد]

إن كل عالم رأى مخطئًا جاهلاً، ولم يعلمه ولم يأمره وينهاه سيسأل عنه يوم القيامة، وكل كافر لم تصل إليه دعوة الإسلام سيُسأل المسلمون عنه، وقد سمعت حكاية عن جندي أمريكي أسلم في العراق بعدما عرف حقيقة الإسلام، وبعد إسلامه بكى بكاءً شديدًا، ولما سُئل عن ذلك قال إنه يبكي أبويه الذين ماتا على الكفر، ثم أخذ يدعو على المسلمين؛ لأنهم قصّروا في الدعوة إلى الله، فلم تصل إلى أبويه قبل موتهما.

الصعوبات التي واجهها الرسل عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام

لم تكن الدعوة إلى الله بالأمر السهل على الرسل جميعًا، بداية من نوح عليه السلام، حتى نبينا ﷺ، وكم لاقى الأنبياء جميعًا من عنت وظلم من قومهم؛ وذلك لتفاوت الناس في تقبل الهداية كما سبق أن بينّا؛ وللأسباب السابق ذكرها، ومن أمثلة ما لاقاه الرسل:

١- التكذيب:

فما من رسول جاء يدعو إلى الله إلاّ كذبه قومه حتى ولو لم يجربوا عليه كذبًا قبل ذلك، قال تعالى: ﴿ **وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ (٤٢) وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ (٤٣) وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (٤٤)** ﴾ [الحج: ٤٢ – ٤٤].

فالبرغم من أن النّبيّ ﷺ كان يسميه قومه بالصادق الأمين إلاّ أنهم كذّبوه عندما جاءهم بالدعوة إلى الله.

٢ - اتهامهم بالسحر والجنون والسفاهة والشعر:

قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (٥٢)﴾ [الذاريات: ٥٢]، وقال تعالى: ﴿قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٦٦)﴾ [الأعراف: ٦٦]، وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ (٣٦)﴾ [الصافات: ٣٦].

٣ - الكفر نتيجة لاتباع الآباء والترف:

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ(٢٣)﴾ [الزخرف: ٢٣].

٤ - الكفر نتيجة الغرور بالمال والولد:

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ (٣٤) وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (٣٥) قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٣٦)﴾ [سبأ: ٣٤ - ٣٦].

فأكثر الناس لا يعلمون أن المال والولد يكون للكافر

إملاءً واستدراجًا؛ ليزدادوا إثمًا على إثمهم، قال تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (١٧٨) ﴾ [آل عمران: ١٧٨]. وقال ﷺ: «**إذا رأيت العبد يعطيه الله من نعيم الدنيا وهو مصرٌّ على المعصية، فاعلم أنه إملاء**».

٥ - الاستهزاء:

قال تعالى في حق نوح عليه السلام: ﴿ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ (٣٨) ﴾ [هود: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿ يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٣٠) ﴾ [يس: ٣٠].

٦ - تعذيبهم وقتلهم:

كما فعل بني إسرائيل مع أنبيائهم، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ (٧٠) ﴾ [المائدة: ٧٠]، وكذلك سيدنا إبراهيم عليه السلام عندما ألقاه قومه في

النار ونجاه الله، قال تعالى: ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ (٦٨) ﴾ [الأنبياء: ٦٨].

٧ - قتالهم وإخراجهم من ديارهم:

كما فعل مشركوا مكة مع رسولنا الكريم ﷺ وغيره من الرسل، قال تعالى: ﴿ وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لاَّ يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلاَّ قَلِيلاً (٧٦) سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً (٧٧) ﴾ [الإسراء: ٧٦، ٧٧]، وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ (١٣) ﴾ [إبراهيم: ١٣].

٨ - التعالي والكبر كما فعل فرعون مع موسى عليه السلام:

قال تعالى: ﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلا تُبْصِرُونَ (٥١) أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلا يَكَادُ يُبِينُ (٥٢) ﴾ [الزخرف: ٥١، ٥٢].

٩ - حسداً منهم لتفضيل الرسل عليهم:

قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ (٢٣) فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا

نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلالٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَؤُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ [القمر: ٢٣ - ٢٥]، وقال تعالى: ﴿ فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لأَنزَلَ مَلائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الأَوَّلِينَ ﴾ [المؤمنون: ٢٤].

١٠ - التكذيب بالبعث والنشور:

قال تعالى: ﴿ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَ آبَاؤُنَا الأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الواقعة: ٤٥].

فهل استسلم الرسل وفرّوا من ميدان الجهاد؟

أبداً، صبروا وثبتوا على الحق رغم كل هذه المعاناة حتى آتاهم نصر الله وأهلك الكافرين، قال تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [آل عمران: ١٤٦]، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الأنعام: ٣٤].

وقال تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

ثم يكون عاقبة الصبر أن ينصر الله رسله والذين آمنوا معهم، وإذا نزل العذاب ينجيهم الله.

وقال تعالى في حق نوح عليه السلام: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [الأعراف: ٦٤].

وقد قصّ علينا ربنا عز وجل في القرآن الكريم قصص الأنبياء وما لاقوه من شدائد ومحن، لتكون مثلاً يُحتذى به لمن أراد أن يسير على دربهم، وليثبت الرسول الكريم على الحق.

قال تعالى: ﴿ وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [هود: ١٢٠].

فيا أيها المؤمنين سارعوا إلى نصرة دينكم ولا تخشوا في

الله لومة لائم، كلٌّ على قدر استطاعته بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واعلموا أن وعد الله حق وأنه ناصر من ينصره، قال تعالى: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠) الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ (٤١) ﴾ [الحج: ٤٠، ٤١].

وقال تعالى: ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج: ٧٨].

وليكن لنا في الرسول ﷺ أسوة حسنة، فلولا جهاده وصبره لما كانت وصلتنا الرسالة وما كنّا مسلمين.

مهمة الرسل كانت بلاغ وليست هداية

مما سبق تبين أن مهمة الرسل عليهم السلام هي بلاغ وإرشاد الناس بما أُرسل إليهم، وأما الهداية فهي مشيئة الله عز وجل يهدي من يشاء، ويُضلُّ من يشاء، فهو أعلم بما في نفوسهم وبأعمالهم.

قال تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ (٢٢) ﴾ [الغاشية: ٢١، ٢٢]. وقال تعالى: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ الْبَلاغُ ﴾ [الشورى: ٤٨]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (٥٦) ﴾ [القصص: ٥٦]. وقال تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ [البقرة: ٢٧٢]. وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٩٩) وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ (١٠٠) ﴾ [يونس: ٩٩، ١٠٠].

فالعاقل يستجيب ويزيده الله هدىً، وأما الذين لا يعقلون وطُبع على قلوبهم من كثرة معاصيهم يزيدهم الله كفراً على كفرهم، لا يستجيبون إلى الدعوة مهما دعوتهم بالحكمة والموعظة الحسنة؛ لأن في آذانهم وقراً ويظنون أنهم على حق، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا (٥٧) ﴾

[الكهف: ٥٧].

ومن رحمة الله تعالى أن يمهلهم في الدنيا علّهم يرجعون ويتوبوا، فإن ماتوا على الكفر كان عذابهم في الآخرة شديد، قال تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلاً (٥٨) ﴾ [الكهف: ٥٨].

وهؤلاء هم الأخسرين أعمالاً، قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤) ﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤].

والرسول لا يسأل الناس أجراً على هدايتهم إنما هم الذين سينتفعون بهذه الهداية في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ **يَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلا تَعْقِلُونَ** (٥١) ﴾ [هود: ٥١]. وقال تعالى: ﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ** (٤١) ﴾ [الزمر: ٤١].

لهذا كله يجب على الرسول ﷺ ومن سار على دربه في الدعوة إلى الله ألاّ يحزن ويصبر ويحتسب ويطلب الأجر من الله إذا صادف أمثال هؤلاء ويُشهد الله عز وجل أنه بلّغ الرسالة، قال تعالى: ﴿ **أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ** (٨) ﴾ [فاطر: ٨].

وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

هناك فرق بين حرية العقيدة والاستهزاء بها؛ فحريّة العقيدة هي أن يختارها الإنسان دون إكراه من أحد، ومن الثوابت في الإسلام أنه لا إكراه في الدين، قال تعالى: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

فطالما اختار الإنسان العقيدة دون إكراه فلابد من احترام قوانينها ودستورها وإلاّ كان مستهزءاً بها، ويكون أشد خطراً على الإسلام من الكافر، فمثلاً إذا أراد الإنسان أن يعيش في بلد ما اختارها بنفسه ولجأ إليها لعلمه بعدل حكامها فلابد له من احترام قوانينها والإلتزام بها، وإلاّ أصبح المجتمع فوضى، فلا يلجأ أحد بعد ذلك إلى هذه البلد.

وكذلك المسلم إذا لم يلتزم بتعاليم الدين، وكلها عدل كان مثلاً سيّئًا للدين، فكيف يدخل غير المسلم في دين تسوده الفوضى والظلم وسوء الخلق، أما الكافر فتصرفاته

مردودة عليه وعلى دينه، ولا تضر الإسلام في شيء؛ فالقرآن الكريم هو دستور المسلمين وقانون إلهي لابد من الالتزام به والعمل بقوانينه وشرعه، قال تعالى: ﴿ **وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ** (٤٤) ﴾ [المائدة: ٤٤].

فأي خارج على هذا القانون الإلهي لابد له من عقاب رادع حتى يكون عبرة لغيره؛ لذا شرّع الله الحدود ولا شفاعة فيها كما علمنا رسولنا الكريم؛ لأنها تجعل المجتمع يسوده الأمن فيكون كل فرد آمن على نفسه وماله وعرضه، قال تعالى: ﴿ **وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ [البقرة: ١٧٩].

فإذا كان القانون المدني لابد من احترامه، ودليل على قوّة الدولة، والخارج على هذا القانون لابد من عقابه عن طريق الشرطة والمحاكم، إذن فقانون الله أحق وأجدر بالاحترام والتعظيم، ولابد من فئة تقوم على حمايته وتنفيذه؛ لئلاً يكون الدين فوضى؛ لذا كان للحاكم سلطة إقامة الحدود.

ولولي الأمر تأديب أهله وتعليمهم أمور دينهم وعقابهم إذا خرجوا عن شرع الله بالنصح، فإن لم يجدي النصح فالبضرب غير المبرح، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [التحريم: ٦].

وأما سائر المسلمين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

فهذا أمر من الله بوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يعني جماعة من المسلمين تتولى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعل الله الفلاحَ لهذه الفئة حتى يُسارع الجميع ليكونوا منهم، فإذا قام بهذه المهمة بعض أفراد المجتمع سقط عن الباقين.

قال تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ

يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٧١) ﴾ [التوبة: ٧١].

وفي هذه الآية الكريمة علّمنا ربنا عز وجل أن المؤمنون والمؤمنات كلهم أسرة واحدة وأخوة في الدين كل واحد مسئول عن أخيه المؤمن كما هو مسئول تمامًا عن أهله وذويه، يرشده إلى صلاح حاله في الدنيا والآخرة حبًا له كحبه لأهله.

فإذا فعل المجتمع الإسلامي ذلك رحمهم الله وشملهم بعنايته وتوفيقه.

وهكذا نجد أن المجتمع كله لابد أن يقوم على حماية دستور الله، وقانونه وتنفيذ أوامره، والكل مسئول أمام الله، قال ﷺ: «**كلكم راعٍ، وكلكم مسئول عن رعيته**».

حتى الجن كانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويُبلّغون ما عرفوا من الحق؛ لأنهم مكلّفون كالإنس تمامًا، قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا**

حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ (٢٩) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ (٣٠) ﴾ [الأحقاف: ٢٩، ٣٠].

فقد شهدوا بأن القرآن يهدي إلى الحق فآمن بعضهم وكفر البعض، فكان مهم المسلمون ومنهم القاسطون، قال تعالى: ﴿ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلا يَخَافُ بَخْسًا وَلا رَهَقًا (١٣) وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا (١٤) وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا (١٥) ﴾ [الجن: ١٣ – ١٥].

التحذير من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

إن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يؤدي إلى الاختلاف والفرقة وإعجاب كل ذي رأي برأيه، بل يؤدي إلى أن ينسى المسلمون تعاليم دينهم، فيكون عذابهم عظيم، قال تعالى: ﴿ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٥) ﴾

[آل عمران: ١٠٥].

وقال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون (١٨) ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون (١٩) ﴾

[الحشر: ١٨، ١٩].

كما أن العمل ببعض الأوامر وترك بعضها حسب الأهواء يؤدي إلى غضب الله عز وجل فيكون الخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة، قال تعالى: ﴿ أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون (٨٥) ﴾ [البقرة: ٨٥].

وكل الناس في خسران إلا من آمن بالله واتبع هذا الإيمان بعمل صالح، ثم أمر بالمعروف ونهى عن المنكر. قال تعالى: ﴿ والعصر (١) إن الإنسان لفي خسر (٢) إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر (٣) ﴾ [العصر].

وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يؤدي إلى هلاك الأمة بما فيها الصالحون.

سألت السيدة عائشة رضي الله عنها النبيَّ ﷺ، فقالت: أتهلك القرية يا رسول الله وفيها الصالحون؟. قال: «**نعم يا عائشة، إذا كثر الخبث**» أي إذا عمَّ الفساد. وفي حديث آخر: «**بتهاونهم وسكوتهم على المعاصي**».

وقال ﷺ عن رب العزة جلّ وعلا: «**إن الله أمر جبريل أن يُهلك قرية، قال جبريل: يا رب، إن فيها فلان صالح. قال رب العزة: يا جبريل، فبه فابدأ؛ لأنه لم يتمعر وجهه غضبًا لي**». فلم ينفعه صلاحه؛ لأنه لم يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

وقال ﷺ: «**لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليوشك أن يعمكم الله بعذاب من عنده ولتدعونه فلا يستجيب لكم**».

فالمسلمون ليلاً نهاراً يدعون الله عز وجل أن ينصرهم على أعدائهم، ولكن الله لا يستجيب لهم؛ لأنهم تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

كما تتنزل اللعنات على من ترك الأمر بالمعروف والنهي

عن المنكر، كما نزلت على بني إسرائيل، قال تعالى: ﴿ **لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾** ﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩].

وهذه اللعنة نزلت عليهم لا بسبب تركهم هذا العمل بالكلية، ولكن كانوا يأمرون بالمعروف ثم يجالسوا من أصر على المنكر، فيصبح الأمر ليس له قيمة.

وتوضيح ذلك في حديث الرسول الكريم ﷺ قال: «**لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا، فواكلوهم وشاربوهم، وجالسوهم في مجالسهم، فضرب الله قلوب بعضهم ببعض، ولعنهم على لسان داوود وعيسى ابن مريم**».

وكان ﷺ متكئًا، فجلس؛ لعظم الأمر، وقال: «**لا والذي نفسي بيده، حتى تأطروهم على الحق أطرًا**» [أخرجه أحمد، والترمذي)، أي لا تجالسوهم إن أصروا على المعاصي وإلاَّ نزلت اللعنة على الجميع، فما بالك بالذين

تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالكلية، وجالسوا، بل وأحبوا المفسدين في الأرض، لقرابتهم لهم أو لصالحهم وعظموا الفسقة، قال ﷺ: «**من عظم فاسق فقد كفر بما أُنزل على محمد**».

وقال ﷺ عن رب العزة: «**لا يحقرن أحدكم نفسه**» قالوا: يا رسول الله، كيف يحقرن أحدنا نفسه؟ قال: «**يرى مقالة لله، ولا يتكلم** (يعني أمر بمعروف ونهي عن المنكر) **فيأتي يوم القيامة يسأله ربه: ما منعك أن تقول في كذا وكذا** (يعني الأمر بالمعروف) **يقول: يا ربي، مخافة الناس. يقول رب العزة: إياي أحق أن تخاف. ثم يُؤخذ إلى النار**» [مسند أحمد ص٣٠]، فلم ينفعه صلاحه؛ لأنه لم يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

ثواب الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر:

ولصعوبة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما سبق أن بيّنا، بالنسبة لما لاقاه الأنبياء عليهم السلام من مشقّة وعنت وتكذيب، بل قد يصل الأمر إلى تعذيبهم؛ لذا كان أجر

العاملين به عظيم عند الله، خاصة في زماننا هذا، فلا يجدون من يُعينهم عليه، وقد كثرت الآراء، واختلفت، وكثرت الفتن، واستشرت، وأصبح المعروف منكرًا، والمنكر معروفًا.

قال ﷺ: «**يا ثعلبة، مُرْ بالمعروف، وانهَ عن المنكر، فإذا رأيت شحًا مطاع، وهوىً متبع، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك نفسك، ودعْ أمر العوام، فإنه من ورائكم فتن كقطع الليل المظلم، للمتمسك فيها بمثل ما أنتم عليه أجر خمسين منكم**». قيل: بل منهم يا رسول الله. قال ﷺ: «**بل منكم؛ لأنكم تجدون على الحق أعوانًا، وهم لا يجدون**» [رواه أبي داود].

قال ابن مسعود إن هذا ليس زمانها، وإنها اليوم مقبولة، ولكن أوشك أن يأتي زمانها تأمرون بالمعروف، فيفعل بكم كذا وكذا، وتقولون فلا يقبل منكم، فحينئذ عليكم أنفسكم.

فأجر الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر في زماننا هذا أجر عمل خمسين من الصحابة، فهل بعد ذلك جزاء. ويكفي الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر شرفًا أنهم يعملون عمل الأنبياء.

وعندما توفي ﷺ ترك الناس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقالوا: نحن نأخذ بهذه الآية. قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ**﴾ [المائدة: ١٠٥].

فخطبهم أبو بكر الصديق وقال: «أيها الناس، إني سمعت أنكم تقولون كذا وكذا، وإنكم لتضعونها في غير موضعها، فقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الناس إذا رأوا الظالم ولم يأخذوا على يديه أوشك الله أن يعمهم بعذاب من عنده**».

والمتدبر للآية التي سبقت هذه الآية يجد فيها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ (١٠٤)**﴾ [المائدة: ١٠٤]، أي بعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا لم تجد استجابة فعليك نفسك لا يضرك فسقهم.

وقال تعالى: ﴿**فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ (٩) سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ (١٠) وَيَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى (١١)**﴾ [الأعلى: ٩ – ١٠].

جاء في تفسيرها فذكر إن نفعت الذكرى أو لم تنفع، فإنها تنفع من يخشى ربه، ويعمل بها، وأما الكافر سيعرض عنها؛ لتكون النار هي مأواه، وأما الذي ذكر فأجره على الله سواء نفعت أو لم تنفع.

كما أن الذي يدعو إلى الله يحبه الله ويكون من أوليائه، قال تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ** (٣٣) ﴾ [فصلت: ٣٣]، جاء في تفسير هذه الآية: هذا ولي الله، هذا حبيب الله، هذا خليل الله.

وقال ﷺ عندما سأله أبو بكر الصديق: هل من جهاد غير جهاد المشركين؟ قال ﷺ: «**نعم، إن لله مجاهدين أفضل من الشهداء، أحياء مرزوقين يمشون على الأرض، يُباهي الله بهم ملائكته، وتتزين لهم الجنة**» قال: من هم يا رسول الله؟. قال: «**هم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر، والمحبون في الله والمبغضون في الله**».

وسُئِلَ ﷺ عن أفضل الناس قال: «**آمرهم بالمعروف، وأنهاهم عن المنكر، وأتقاهم لله عز وجل**». وقال ﷺ:

«أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر».

وقد سمى رسول الله ﷺ جهاد النفس الجهاد الأكبر، ويدخل فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد قال ﷺ عند عودتهم من أحد الغزوات: «رجعتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر».

وقال ﷺ: **«من تمام الإيمان الحب في الله والبغض في الله»**، فلا يتم إيمان عبد حتى يُحب في الله ويْبغض في الله، ويُعطي لله ويمنع لله.

وثمرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يجنيها الفرد وتعود على المجتمع كله بالخير والبركات؛ لأن المجتمع كله يصبح من المتقين.

قال تعالى: ﴿ **وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** (٩٦) ﴾ [الأعراف: ٩٦].

وينصرهم ربهم على أعدائهم بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر قال تعالى: ﴿ **وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ**

عَزِيزٌ (٤٠) الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ (٤١) ﴾ [الحج: ٤٠، ٤١].

أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

[١] يذكر الناس بأوامر الله ونواهيه فلا ينسوها؛ لأنه وسيلة من وسائل نشر العلم بين الناس.

[٢] يجعل الفاسق يشعر بعظم الذنب، خاصة إذا أنكره كل من حوله.

[٣] يمنع نزول غضب الله على الأمة، وتتنزل عليهم الرحمات.

[٤] يكون سببًا لهداية الإنسان نفسه؛ لأنه جهاد في سبيل الله، ويكون في معيّة الله، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (٦٩) ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

[٥] القضاء على البدع وهي في مهدها قبل أن تنتشر بين المسلمين، فيُصبح عرفًا.

[٦] تساعد من يفعل المنكر على مجاهدة نفسه الأمارة بالسوء.

[٧] هي دليل على حب الإنسان لربه وحبه لأخيه.

[٨] تحقق خيرية الأمة التي وعدنا الله بها إذا قمنا بهذا العمل، قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾

[آل عمران: ١١٠].

[٩] يعفي الله الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر من السؤال يوم القيام، فلا يضرهم فسق الفاسقين كما يُنجيهم من عذاب الدنيا إذا حلّ بقومهم، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ (١٠٣) ﴾ [يونس: ١٠٣]، وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٥) ﴾ [الأعراف: ١٦٥].

[١٠] ينصرهم الله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد، قال تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ (٥١) ﴾ [غافر: ٥١].

مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

قال ﷺ : «**من رأى منكم منكراً فليُغيّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وهو أضعف الإيمان**» [صحيح مسلم]. هذا الحديث حدد مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهي إما باليد أو باللسان أو بالقلب.

أولاً - باليد:

وهذا لولي الأمر، سواء كان الحاكم، أو وليّ أمر الأسرة، أو أي ولي تولى أمور المسلمين في أي موقع، فالحاكم عليه تطبيق شرع الله في الحكم وإقامة الحدود أو تأديب الفسقة والمجرمين عن طريق الشرطة والقضاء.

قال تعالى: ﴿ **وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٣٨)** ﴾ [المائدة: ٣٨].

وقال تعالى: ﴿ **الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢)** ﴾ [النور: ٢].

فهذه ليست قسوة، ولكن رحمة بالمجتمع لكي يعيش آمنًا على ماله وعرضه ونفسه، وكذلك رحمة بالشخص نفسه؛ لأن إقامة الحد عليه يطهره من ذنوبه، وفي نفس الوقت يكون عبرة لغيره، فلا يقدم أحد بعد ذلك على هذا العمل؛ لذا كانت إقامة الحدود على الملأ يشهدها المؤمنون، فالطبيب الماهر يضطر إلى بتر عضو من الجسم إذا كان في ذلك سلامة لباقي الجسد، قال تعالى: ﴿ **وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ [البقرة: ١٧٩].

وبالنسبة لوليّ أمر الأسرة فعليه أن يُعلّم أهله أمور دينهم، فإن أبوا وأظهروا الفسق فعليه أن يعظهم أولاً، ويخوّفهم بالله، فإن لم يستجيبوا يلجأ إلى التعنيف بالضرب غير المبرح؛ لإيلامهم نفسيًا، وإحراجهم أمام الآخرين أو حرمانهم مما يحبون أو اعتزالهم إذا لزم الأمر، وذلك رحمة بأهله لكي ينقذهم من شياطين الإنس والجن وعذاب الله في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ**

غلاظٌ شدادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٦) ﴾ [التحريم : ٦] .

وقال تعالى : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ (١٣٢) ﴾ [طه : ١٣٢] .

وقال ﷺ : «**علّموا أولادكم الصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر ، وفرّقوا بينهم في المضاجع**» [مسند أحمد]

ثانيًا - باللسان:

وهذا لعامة الناس، خاصة ما هو معلوم من الدين بالضرورة كالمعاملات المادية والاجتماعية، مثل تطفيف الميزان والغش، وصلة الرحم، وبر الوالدين ومعاملة الجار .

أما العلماء فعليهم أن يبيّنوا للناس أمور دينهم التي لا يعلمها عامة الناس، والأمر باللسان يكون بتعريف الجاهل أن عمله هذا منكرًا، ويدلل له على ذلك بالقرآن والسُّنَّة، فإن علم أنه عالمٌ بأنه منكر، فيكون النهي بالوعظ والتخويف بالله والترغيب في طاعته .

وإذا لزم الأمر إلى زجره بالألفاظ الغليظة فعل، كقوله : يا

فاسق، يا أحمق؛ لأنه يكون كذلك عند فعل ما يغضب الله، قال ﷺ: «**الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني**» [مسند أحمد، والترمذي] ولابد أن يراعي حالة من يكلمه، وأن يستخدم لين القول، ويُحسن اختيار الألفاظ.

ثالثاً - التغيير بالقلب:

والتغيير بالقلب يبدأ بأن يكره الإنسان ما يراه من منكرات، فيظهر ذلك على جوارحه، فيتغير وجهه غضبًا لله، حتى يعرف الذي يفعل المنكر أنه منكرًا، ثم الإعراض عنه، وعدم مجالسته أو محادثته، وخاصة إذا علم منه إصرارًا واستكبارًا على أوامر الله، فهذا تغيير للمنكر بالقلب، قال تعالى: ﴿ **وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا (١٤٠)** ﴾ [النساء: ١٤٠].

جاء في تفسير هذه الآية أنها في شارب الخمر، وكذلك

كل ما أنكره الشرع، فأي مجلس فيه فسق لابد من مقاطعته، فلا ينبغي حضور الحفلات الماجنة التي فيها اختلاط وعريٌ وغناء، وانتهاك لحرمات الله، سواء كانت عرسًا أو غيره مجاملة للأصدقاء والأقارب على حساب الدين، وإلاَّ نزلت اللعنة على الجميع، قال ﷺ: «**لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي نهتهم علماؤهم، فلم ينتهوا، فواكلوهم وشاربوهم وجالسوهم في مجالسهم، فضرب الله قلوب بعضهم ببعض، ولعنهم على لسان داوود وعيسى بن مريم**»، وكان ﷺ متكئًا فجلس لعظم الأمر، وقال: «**لا والذي نفسي بيده، حتى تأطروهم على الحق أطرًا**» [أخرجه أحمد والترمذي]

واللعنة تعني الطرد من رحمة الله، وأما ضرب قلوب بعضهم ببعض، أي كره بعضهم بعضًا، وأصبحت قلوبهم قاسية، قال تعالى: ﴿**وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (١٤)**﴾ [المائدة: ١٤].

وجاء في سورة التوبة قصة الثلاثة الذين خُلّفوا عن الجهاد بغير عذر، فأمر الله رسوله ﷺ والصحابة بمقاطعتهم خمسون يومًا، حتى نزل أمر الله بالتوبة عليهم، وكانت من أشق الأيام عليهم؛ لأن الهجر يؤدي إلى الإيلام النفسي والإحساس بالغربة، مما يدفع العاصي دفعًا إلى ترك المعاصي والتوبة، قال تعالى: ﴿ **وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** ﴾ [التوبة: ١١٨].

فلو أن كل إنسان عاصي قاطعه كل من حوله غضبًا لله، وأنكروا عليه فعله لما استمر على ما هو عليه، قال تعالى: ﴿ **لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٢٢)** ﴾ [المجادلة: ٢٢].

فقد سماهم الله (حزب الله) لأنهم غضبوا لغضبه، وهذا دليل حبهم لله.

وقال تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾ [الممتحنة : ٤].

ولما اعتزل سيدنا إبراهيم قومه، وذهب إلى أرض فلسطين غضبًا لله عوضه الله عن أهله بابنين صالحين، وجعل في ذريتهما النبوة والكتاب ليأنس بهما، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا (٤٩) ﴾ [مريم: ٤٩].

فهذا هو التغيير بالقلب لابد أن يتبعه عمل إيجابي يؤدي إلى تغيير المنكر، لا أن نعاملهم بعد الإنكار، كأن شيئًا لم يكن، فيستمروا على ما هم عليه فيستشري المنكر ويزداد إلى أن يُصبح معروفًا كما نشاهد الآن.

وكان ذلك أيضاً قبل الإسلام يفعله كل من يحب الله

ويغار على الدين، ففي آخر سورة الأعراف نجد قصة لبعض بني إسرائيل كانوا يسكنون قرية على البحر، قال تعالى: ﴿ وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٣) ﴾ [الأعراف: ١٦٣].

هؤلاء القوم فسقوا بترك بعض أوامر الله، فابتلاهم ربنا عز وجل بأن كانت تأتيهم الحيتان يوم السبت الذي هو يوم عبادة لهم، ولا تأتي باقي أيام الأسبوع، فقام بعضهم ببناء حواجز حول الحيتان تحايلاً على أمر الله بألاّ يعملوا، ثم يصطادونها يوم الأحد، فنهتهم علماؤهم، والبعض الآخر، قالوا: ما لكم ولهم إن الله مهلكهم. فانقسموا ثلاث فرق، فرقة تعمل المعاصي، وأخرى تنهاهم، وثالثة تنصح بتركهم وشأنهم.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٦٤) ﴾ [الأعراف: ١٦٤].

فقاطعتهم الفرقة التي تأمر بالمعروف ببناء سور بينهم، حتى لا يخالطوهم، فلما نزل غضب الله على العاصين بأن سخطهم قردة، نجّى الله الآمرين بالمعروف، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٥) فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (١٦٦) ﴾

[الأعراف: ١٦٥، ١٦٦].

كيفية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

قال تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١٢٥) ﴾ [النحل: ١٢٥] فعلى الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يتحلى بعدة صفات مهمة تُعينه على هذا العمل، حتى يكون مقبولاً عند الله، ويقبل الناس منه:

١ - الإخلاص:

فيكون عمله هذا خالصًا لله عز وجل، لا يريد من ورائه ثناء الناس، بل حبًا في الله، وغيرة على دينه.

٢ - الحكمة:

عندما يتكلم لابد أن يكون معه حجة من القرآن والسنة، وهذه هي الحكمة التي أمرنا الله بها، وذلك يستلزم معرفته بعلوم القرآن والسُّنَّة، أو على قدر علمه يتكلم، فكلما كان الكلام مُؤيدًا بالقرآن والسُّنَّة يكون أقوى تأثيرًا وأكثر بيانًا؛ لأن معظم الناس يحبون الله عز وجل بالفطرة، وخاصة الشباب منهم ويريدون طاعته، ولكن جهلهم بأمور الدين هو الذي يجرهم إلى الفسق.

٣ - الموعظة الحسنة:

وهي الرحمة والشفقة والرفق بمن يأمرهم وينهاهم، وأن يضع نصب عينيه أن كل بني آدم خطّاء، وهو نفسه يُخطئ فيتكلم مشفقًا عليهم وحبًا فيهم، فهم أخوة في الإسلام.

ولا يكون الكلام من باب التعالي عليهم، والكبر، وأن يبدأ كلامه بالثناء عليهم، وعلى بعض أعمالهم الخيرية، كأن يقول مثلاً: أنت تصلي وتحب الله، فلماذا تغضبه؟، أو: إني أراك إنسانًا طيب القلب، تُحب الخير للناس، وتكره

الشر، فلماذا نأتي بهذا المنكر؟

فلين القول وحسن اختيار الألفاظ ترقق القلب وتجعل الكلام مقبولاً لسامعه، والثناء عليه يقربك منه، فيحبك، فإذا أحبك قبل منك النصيحة، قال تعالى: ﴿ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (٤٣) فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ (٤٤) ﴾ [طه: ٤٣، ٤٤]، وقال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾

[آل عمران: ١٥٩].

فكل ذلك هي الموعظة الحسنة وذلك لثقل الأمر بالمعروف على النفس البشرية، فالإنسان بطبعه يكره أن تجعله خاطئ، بل يحب الثناء عليه.

وقد رويَ أن المأمون دخل عليه رجل، فوعظه وأغلظ في الوعظ، فقال له المأمون: يا هذا إن الله أرسلَ من هو خير منك لمن هو شر منّي (أي موسى عليه السلام إلى فرعون)، فقال تعالى: ﴿ فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [طه: ٤٤].

ويُراعى أن يكون الوعظ في السر لا على الملأ؛ حتى لا

تفضحه، فينفر منك، كما يراعى حالة المأمور، فلابد أن يكون مهيئًا نفسيًا، فلا يكون عنده مشاكل تشغله، وأن يُراعي السنّ والحالة الاجتماعية؛ فالأكبر سنًا لابد أن يختار الألفاظ التي فيها احترام لكبر سنّه، وخاصة الآباء والأمهات، ولنا الأسوة في إبراهيم عليه السلام، وهو يدعو أبيه فيقول برحمة وشفقة: ﴿ يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (٤٤) ﴾ [مريم: ٤٤].

٤ - الجدال بالتي هي أحسن:

وهو ما يُسمى بالمناظرة، وتكون لإحقاق الحق وإبطال الباطل، لا لأن ينتصر الإنسان لنفسه، ولكن نصرًا لدين الله، ويكون أيضًا بالقرآن والسُّنَّة، فإذا وصل الجدال إلى حد الشقاق، ووجدت إصرارًا وجدالاً بالباطل، فلابد من قطع الجدال؛ رحمة وشفقة بمن تجادله، حتى لا تضيف إلى ما هو عليه من معاصي معصية الجدال بالباطل.

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى وَلا كِتَابٍ مُّنِيرٍ (٢٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ

نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ (٢١)﴾ [لقمان: ٢٠، ٢١].

وقال ﷺ: «**أنا زعيم بيت بالجنة لمن ترك المراء (الجدال) ولو كان محقًا**».

٥ - الحلم والأناة:

فلا تتوقع ممن تذكره بالله أنه سوف يستجيب بمجرد أن تأمره أو تنهاه حتى لو اتبعت كل ما سبق؛ لذا لابد أن تحلم عليه وترد الإساءة بالكلمة الطيبة والدعاء له بالهداية.

٦ - الصبر وعدم اليأس والقنوط:

فلا تترك هذا العمل لمجرد أن قابلت من لا يستجيب لك أو رد بقول ثقيل، فكلما كان العمل شاق زاد الأجر والثواب طالما هو لوجه الله تبتغي الأجر من الله، وأن يكون الرسل أسوة له، ويتذكر ما لا قوه من متاعب وعنت وتكذيب من قومهم، ولولا صبرهم ما كانت وصلتنا الرسالة، وما كنّا مسلمين، فإذا صبر نصره الله، وهدى كثيرًا من الناس به، فيفرح فرحًا شديدًا، ويجد حلاوة في هذا العمل.

قال ﷺ: «لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك مما طلعت عليه الشمس»، وفي رواية: «خير لك من حمر النعم» [رواه البخاري (١٠٧٧)].

قال تعالى على لسان لقمان وهو يعظ ابنه: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾ [لقمان: ١٧].

فهذا العمل يوجب الصبر فهو ليس بالأمر الهين، كذلك العزم على عدم تركه مهما لاقى من مصاعب؛ لأنه واجب على كل محب لله غيور على الدين، وألا يستمع لقول المثبطين عن هذا العمل، فتجد من يقول لك: (إنك تنفخ في قربة مقطوعة) أو من يقول لك: (إنك لن تُصلح الكون)، وآخر يقول: (كن في حالك، ودع أمر الناس لله فهو الهادي).

فإن أمثال هؤلاء موجودون في كل زمان ومكان، فتجد ذلك في قصة القرية في سورة الأعراف التي سبق أن ذكرناها. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ

مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٦٤) ﴾ [الأعراف: ١٦٤]، معذرة إلى ربكم: أي حتى لا يحاسبنا الله على عدم أمرهم بالمعروف، وكذلك لعلهم يخشون ربهم، وينتهوا عن الفسق.

[٧] ألا تترك هذا العمل خوفًا من فوات حظ من الدنيا كجاه أو منصب أو مال، فكل ذلك مكتوب بقدر الله، قال ﷺ: **«لا ينبغي لامرئ شهد مقامًا فيه حق إلا تكلم، فإنه لن يقدم أجله، ولن يحرمه رزقًا هو له»**.

[٨] ألا يحتج بأنه هو نفسه مقيم على المعاصي، فكيف يأمر وينهى:

ونقول: إن كل بني آدم خطاء، فلو أخذنا بهذا القول، ما أمر أحد ولا نهى، ولكن ليس معنى ذلك أن ينهى عن معصية وهو مقيم عليها.

كل هذا من أدب الداعي، أما المدعو فعليه أن يتقبل النصيحة بصدر رحب، وأن يشكره على هذه الهدية.

قال ﷺ: **«تهادوا النصائح كما تتهادوا الأطباق»**، وقال

ﷺ : «من جاءه موعظة من ربه فهي نعمة ساقها الله إليه»، وقال ﷺ : «السعيد من يوعظ بغيره».

ومن المعروف أن من سوء الأدب أنه إذا دعاك أحد إلى وليمة أن ترفض دعوته، فما بالك بمن يدعوك إلى ما هو خير من ذلك بكثير، يدعوك إلى جنة عرضها السموات والأرض، فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

ولو أن إنسانًا دعاك للتعرف على أحد الحكام؛ لتكون من المقربين إليه لهرولت إلى هذه الدعوة شاكرًا من دعاك، فما بالك بمن دعاك للتعرف على حاكم هذا الكون العظيم ومدبّره وخالقك ورازقك، والذي إذا دعوته أجابك وهو أرحم بك من أمك وأبيك، دعاك لتكون في قربه وكنفه ومعيته وذلك بإحسان العمل والتقوى، قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ (١٢٨) ﴾ [النحل : ١٢٨]

والعصاة أنواع:

[١] من يعمل المعصية بجهل بأوامر الله وتقليداً للآباء

والمجتمع الذي يعيش فيه، ولكنه إنسان طيب محب للخير، فهذا سليم الفطرة وغالبًا ما يقبل النصيحة، وأغلبهم من الشباب.

[٢] من يعمل المعصية وهو يعلم أنها معصية، ويستكبر على أوامر الله، فهذا إنسان طُبع على قلبه من كثرة المعاصي، فأصبح يرى الحق باطلاً، والباطل حقًا، ويُجادل بالباطل، وأغلبهم من كبار السن، فهذا أمره إلى الله، وهؤلاء قلة.

[٣] أما الصنف الثالث، فهو الذي يمشي في ركب الناس إن أحسنوا أحسن، وإن أساءوا أساء، ومعظمهم من العوام غير المتعلمين، فهو يعمل المعصية وإذا علم أنها معصية، فلا يهتم وهو ما يُقال عنه إنه إمّعة، وهذا أيضًا ممكن أن يتقبل النصيحة إذا استخدمت أسلوب الترغيب والترهيب معه.

منكرات شاعت في المجتمعات الإسلامية

١ - الاستهانة بالعبادات وشعائر الله:

قال ﷺ : «**بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلاّ الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا**».

فالصلاة هي أهم أركان الإسلام، وهي عماد الدين، ومع ذلك نجد كثيراً من الناس يستهين بها ولا يستحي أن يعلن بأنه لا يصلي، قال ﷺ : «**الصلاة عماد الدين، من أقامها، فقد أقام الدين، ومن هدمها فقد هدم الدين**»، وقال ﷺ : «**بين الرجل والكفر ترك الصلاة**» [رواه مسلم].

وآخر يؤدي الصلاة في آخر وقتها، وثاني يجمع كل الفروض في آخر النهار، وثالث لا يصلي الجمعة.

قال تعالى في سورة مريم: ﴿ **فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (٥٩)** ﴾ [مريم: ٥٩]،

وقد جاء في تفسير هذه الآية: أنهم الذين يؤدونها في آخر وقتها، فما بالك بمن تركها بالكلية.

وأما صلاة الجمعة فقد أُمرنا بأدائها، فهي فريضة على الذكور البالغين، قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٩)** ﴾ [الجمعة: ٩]، فهي ساعة فقط من كل أسبوع يترك فيها المسلم عمله، ويسارع إلى أدائها، فيُبارك الله له في رزقه، ولكن الذي يحدث الآن تجد الفريضة تُقام والناس تملأ أماكن اللهو والأسواق.

قال ﷺ: «**من ترك أربع جمع طبع الله على قلبه**».

أما فريضة الصوم فحدّث ولا حرج، فقد كان في سالف الزمان يستحي المسلم أن يأكل في نهار رمضان حتى من كان معذوراً، وحتى النصراني كان يراعي شعور المسلم، ولا يأكل في نهار رمضان، و كانت محال الطعام تُغلق أبوابها، أما الآن فالإفطار علنًا، ولا يستحي من ذلك؛ لأنه لا أحد يُنكر عليه فعله، والمحلات تُقدم له الطعام ولا أحد يتحرك.

والزكاة كذلك كثير من الناس لا يؤديها مع أن أبو بكر رضي الله عنه حارب مانعي الزكاة واعتبرهم مرتدين.

أما القرآن فقليل من يداوم على قراءته بحجة عدم توافر الوقت لديهم مع أنهم يقضون ساعات في اللهو والعبث، ومن قرأه لا يتدبر معانيه، وإن علم منها شيئًا لا يعمل به، قال ﷺ: **«ربَّ قارئ للقرآن والقرآن يلعنه»**، وقال ﷺ: **«القرآن حجة لك أو عليك»** [رواه مسلم].

ولو علموا فضل قراءة القرآن ما هجروه، قال ﷺ: **«اقرأوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه»** وقال: **«خيركم من تعلم القرآن وعلمه»**.

٢ - تعطيل إقامة الحدود:

كحد السرقة وحد القتل والزنى، مما أدى إلى تفشي الجرائم في المجتمع، وأصبح الإنسان غير آمن على نفسه ولا ماله ولا عرضه، قال تعالى: ﴿**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** (١٧٩)﴾ [البقرة: ١٧٩].

٣ - ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

فإن كان إقامة الحدود هي من اختصاص الحاكم، فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على الأمة، كما سبق أو وضحنا، ولكن للأسف الشديد، ترك المسلمون هذا العمل جهلاً منهم بأهميته ووجوبه، ولصعوبته كما سبق أن أوضحنا، فكانت النتيجة أن نسى كثير من المسلمين أحكام الشرع وابتعدوا عن طاعة ربهم، وشاعت كلمة الحرية التي هي كلمة حق يراد بها باطل، فالحرية أن أفعل ما يصلح حالي، ولا يضر الآخرين، أما الخروج عن الدين وتعاليمه، فهذا أكبر ضرر على المسلمين عامة، وعلى الدين كما سبق أن أوضحنا، فأصبح المسلمون مثلٌ سيئ للإسلام، والإسلام بريء من أفعالهم؛ لذا كان ترك هذا العمل من أكبر المنكرات التي لا يلتفت إليها كثير من الناس، ويستهين به؛ لأنه أمر من الله عز وجل واجب على الأمة، وسوف نفصل فيما يلي بعض المنكرات التي شاعت وأصبحت عرفًا رغم مخالفتها للشرع نتيجة لعدم إنكار الناس لها:

٤ - سفور المرأة وعدم التزامها بالحجاب الشرعي:

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٥٩) ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

جاء في تفسير هذه الآية في كثير من التفاسير، مثل تفسير الجلالين والطبري: أن كلمة جلابيبهن تعني ملاءة واسعة تشتمل بها المرأة من فوق رأسها إلى أسفل قدمها، ثم تضمها على وجهها، فلا يظهر منه إلا عينًا واحدة أو الإثنين لترى الطريق.

وهي الملاءة اللف التي كانت معروفة في المجتمع المصري حتى أوائل الخمسينيات، والعباءة التي تلبسها المرأة في دول الخليج، والثوب الذي ترتديه المرأة في السودان وفي أفغانستان، وكثير من الدول الإسلامية التي لم يدخلها الإستعمار ظلت ملتزمة به إلى يومنا هذا.

وهذا الحجاب الشرعي من الأمور المعروفة من الدين بالضرورة، لأنه أمر من الله نزلت به الآيات القرآنية، والتزم

بها المسلمون جيلاً بعد جيل، ما يقرب من (١٤٠٠) سنة إلى أن سيطر الاستعمار على كثير من الدول الإسلامية كما كان في مصر والشام وشمال أفريقيا، وحاولوا إخراج المسلمين عن دينهم وتغيير لغتهم كما حدث في شمال إفريقيا؛ لعلمهم أنهم لن يستطيعوا السيطرة عليهم إلاّ إذا فعلوا ذلك وكان وراء هذه الفتنة اليهود، فقد واكب هذه الأحداث احتلال اليهود لأرض فلسطين، وكانت الفتنة التي أصابت جسد الأمة الإسلامية في مقتل، بعدها توالت الهزائم على الشعوب الإسلامية.

أما هذه الفتنة فقد جاء بها الاستعمار؛ ليخرج المسلمن عن تعاليم دينهم بحجة ما أسموه تحرير المرأة، قال تعالى: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (١٢٠) ﴾ [البقرة: ١٢٠].

فإن اتبع المسلمون أهواء اليهود والنصارى، تخلى ربنا عن نصرتهم، وهم يعلمون هذه الحقيقة جيداً؛ وذلك منذ

احتلال الفرنسيين لمصر في عهد نابليون بونابرت، فقد كانت الجيوش تخرج من الأزهر، فعلم أن تمسّكهم بدينهم هو الذي يدفعهم دفعًا للجهاد والدفاع عن وطنهم، فأمسك بيده النجسة المصحف الشريف، وقال لجنوده: لن تستطيعوا الانتصار عليهم طالما هذا الكتاب بين أيديهم، ودخل الجامع الأزهر بخيله، وقام بإحراق المكتبة حقدًا وغلاً، فزادهم ذلك إصراراً على الجهاد حتى أخرجوهم من مصر، أما نابليون فقد عاقبه الله فمات في المنفي مذمومًا محسوراً على يد قومه.

وعندما دخل الإنجليز الدول العربية نفذوا ما كان يريده نابليون، ولكن بطريقة خبيثة، و هو ما أسموه بحركة تحرير المرأة، فنصبوا رؤوسًا في المجتمعات الإسلامية خاصة في مصر وتركيا، وقد كانتا أقوى الدول الإسلامية آنذاك، لتدعو إلى هذه الحركة لإفساد المجتمع، وللأسف كان معظمهم من حفظة القران الكريم، وخريجي الأزهر، ومنهم بعض العلماء أصابتهم هذه الفتنة، وانزلقوا فيها، وكانت

دعوة لسفور المرأة وخروجها للعمل واختلاطها بالرجال بدعوى التقدم والمدنية.

وانساق المجتمع الإسلامي وراء هذه الفتنة دون وعي أو إدراك؛ لجهلهم بعلوم الدين، فقد كان أغلبهم أميون وهذه هي الطامة الكبرى؛ لأن العلم يحمي الإنسان المسلم من مثل هذه الفتن كما سبق أن أوضحنا.

قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ** (٢٠١) ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

فإذا جاءت فتنة عرفوا أنها من الشيطان؛ لأنها تخالف شرع الله، فلا تصيبهم.

وقال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ** (٢٩) ﴾ [الأنفال: ٢٩] والتقوى لا تأتي إلا بالعلم فبه ينتصر على شياطين الإنس والجن، قال ﷺ: «**عالم واحد أشد على الشيطان من ألف عابد**».

وقد بدأت هذه الحملة منذ العشرينيات، وزادت في

الثلاثينيات، وآتت ثمرها في الخمسينيات بعد انتصار اليهود، واحتلال فلسطين، فاختفى الحجاب تمامًا من المجتمعات الإسلامية، وخاصة في مصر؛ لأن رأس الفتنة كانت بها هي وتركيا، كما أدخلوا القوانين الوضعية، وعطّلوا إقامة الحدود فبعد المسلمون عن دينهم، ونفذ الاستعمار ما كان يرجوه ويتمناه.

فهل حصل المسلمون على ما وعدوهم به من تقدم ومدنية؟، لا والله، بل ازدادوا فقرًا، وذلاً ومهانة، حتى تكالبت عليهم الأمم، وحدث ما تنبأ به رسولنا الكريم ﷺ، قال: «**يوشك أن تتداعى عليكم الأمم، كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها**»، قالوا: أمن قلّة يا رسول الله؟ قال: «**بل أنتم كثرة، ولكن كغثاء السيل** (النفاية التي تخرج من البحر) **وتُنزع المهابة من قلوب أعدائكم ويقذف في قلوبكم الوهن**» قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: «**حبّ الدنيا وكراهية الموت**»، فحب الدنيا هي رأس كل خطيئة.

كانت مصر أغنى وأقوى دولة في المنطقة على مر

العصور، وكان جندها خير أجناد الأرض، يُدافعون عن الإسلام وعن قضايا الأمة الإسلامية، وعندما غرقت في هذا المستنقع ولم تستطع الخروج منه أصبحت من أفقر دول المنطقة، تمد يدها للمسلمين، وغير المسلمين، وتأتمر بأمرهم رغم ما تملكه من ثروات طبيعية، وموقع جغرافي ممتاز، ولكن نسوا الله فأنساهم أنفسهم، أما الدول التي لم تصبها هذه الفتنة لعدم دخول الاستعمار بلادهم، حيث كانوا دولاً فقيرة لا مطمع للاستعمار فيها تمسكوا بشرع الله، ففتح الله عليهم البركات من السماء والأرض وأخرج لهم الذهب الأسود الذي يسيطر على اقتصاد العالم الآن.

قال تعالى: ﴿ **وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٩٦)** ﴾ [الأعراف: ٩٦]، جاءتهم التكنولوجيا والعلم والحضارة دون أن تخرج نساءهم من البيوت، وجعلهم الله اية لمن أراد أن يعتبر.

ولكن للأسف الشديد أنهم لم يتعلموا مما حدث

لغيرهم فهم الآن أصبحوا مطمع المستعمرين الذين لا همّ لهم إلاّ السيطرة على ثروات الدول الضعيفة، والتحكم فيها واستغلالها لصالحهم.

وبدأوا فعلاً في تنفيذ مآربهم، وذلك يبدأ بإخراج المسلمين عن تعاليم دينهم فأغلقت بعض الدول المعاهد الدينية بحجة أنه يخرج منها الإرهابيين، والبعض الآخر تحللوا من بعض تعاليم دينهم، بحجة الديمقراطية والحرية، وما إلى ذلك.

وصدق رسولنا الكريم عندما قال: «**والله ما أخشى عليكم الفقر، ولكن أخشى أن تُفتح عليكم الدنيا كما فُتحت على الذين من قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، فتُهلككم كما أهلكتهم**» [رواه البخاري (ص١١٥٢)].

ويا ليت هذه الدول تعتبر بما حدث لغيرها، وأن تتمسك بدينها ولا تنزلق إلى المستنقع الذي غرقت فيه.

وها نحن نرى بداية النهاية، فكانت العراق أول لقمة سائغة يلتهمها المستعمر الذي دخل المنطقة بترحيب من

أهلها، فغرقت سفينة العراق في بحر من الدماء، والبقية تأتي، فهل من معتبر؟!.

الأضرار التي أصابت المرأة والمجتمع من جراء ركوب موجة الحرية:

في بادئ الأمر لا ننكر أهمية تعليم المرأة وتثقيفها، ولكن هذا الأمر لا يكون على حساب ما خُلقت من أجله، وهو بناء أسرة ورعاية شئونها وتنشئة الأولاد على القيم والأخلاق والدين، فأهم علم يجب أن تتعلمه المرأة هو علم الدين؛ لذا حثّنا رسولنا ﷺ على اختيار المرأة الصالحة.

أما أن يكون همها هو الحصول على أعلى الدرجات العلمية، ثم تكون في أعلى المناصب فقط لتنافس الرجل في العمل، فهذا ما جرّ عليها وعلى المجتمع مساوئ عديدة منها:

[١] الاختلاط بالرجال أدى إلى التفكك الأسري، فهي تقضي مع زملائها في العمل أكثر من الوقت الذي تقضيه مع زوجها، فزادت نسبة الطلاق لدرجة أن هناك إحصائية تقول: إنه كان في السبعينات نسبة الطلاق لا تزيد عن ٧٪

من نسبة الزواج، وأخيرًا وصلت نسبة الطلاق إلى ٥٠٪ من حالات الزواج.

[٢] خروج المرأة سافرة متبرجة تفتن الرجال، مما أدى إلى عزوفهم عن الزواج، فلا يرضى الرجل إلا بزوجة تشبه فلانة الممثلة أو المذيعة أو صورة وضعها في مخيلته، تكوّنت من كثرة مشاهدة النساء المتبرجات، حتى المتدينين من الرجال، كل ذلك كان ضررًا للمرأة، وليس لصالحها، وكان سببًا في كثرة المشاكل الزوجية، وارتفاع نسبة الطلاق، فلو أن كل رجل خرج من منزله إلى العمل، ولم يرَ سيدة، لعاد إلى بيته ليرى زوجته أجمل النساء، حيث لا وجه للمقارنة، بل هي السيدة الوحيدة التي يراها، والتي تحلّ له، ومن هنا نعرف الحكمة من تغطية المرأة بالكامل وبما فيها وجهها.

[٣] خروج المرأة للعمل، شكّل لها ضغط نفسيّ لا تستطيع تحمله فهي أصبحت تتحمل أعباء الوظيفة بجانب أعباء المنزل وتربية الأولاد، وكل ذلك فوق طاقتها، وخاصة

أثناء الحمل والرضاعة، وقليل ممن تستطيع الوفاء بهذه الإلتزامات، فلابد أن يكون أحدهما على حساب الآخر، فيكون الحساب من الله عز وجل كبير، وقد قابلت في حياتي نساء غير مسلمات من الأجانب يحسدن المرأة المسلمة على أنها غير مكلفة بالإنفاق على الأسرة وبالتالي فهي ليست بحاجة إلى العمل.

[٤] زاحمت المرأة الرجال في سوق العمل مما قلّل فرص العمل أمام الشباب، فأصبحت المرأة تعمل وأخيها يجلس في بيت أبيه، أو يلعب الكرة في الشارع، وبالتالي لا يستطيع الزواج مما أدى إلى تأخر سن الزواج بالنسبة للرجال والنساء، وزاد في تعقيد الزواج.

[٥] استقلال المرأة ماديًا شجّعها على عصيان زوجها، والتكبر عليه، بل وكان سببًا في أن تطلب الطلاق لأتفه الأسباب، ولا تصبر؛ لذا جعل الله القوامة للرجال والعصمة بيده؛ لأنه أحرص على صيانة الأسرة؛ لأنه يتحكم في عواطفه أكثر من المرأة.

[٦] الاختلاط أدى إلى تشبه المرأة بالرجل مما أفقدها أنوثتها، وكذلك الرجال تصرفاتهم أصبحت فيها ميوعة، وهؤلاء ملعونون على لسان رسولنا الكريم، وأيضًا يُقلل من فرص الزواج.

[٧] العائد المادي للوظيفة يصرف معظمه -- إن لم يكن كله - في الملبس والمواصلات والمكياچ، وما إلى ذلك، فلا يفيد اقتصاد الأسرة ولا المجتمع بشيء يُذكر.

[٨] خروج المرأة إلى العمل، كان على حساب تربية الأولاد تربية سليمة، فهي إما تتركهم لمربية لا تدري ماذا تعلمهم، أو تُلحقهم بمدرسة أيضًا لا تدري ما هي القيم التي يتعلمونها فيها، ففي هذه السن الصغيرة وهي أقل من سبع سنوات يتشكل فيها شخصية الطفل.

[٩] عاقب ربنا عز وجل دعاة هذه الفتنة وهم رؤوس المجتمع آن ذاك، بأن سلبهم ملكهم وخرجوا من البلاد أذلة صاغرين تاركين وراءهم ملكهم وديارهم وأموالهم، والذين عاشوا في مصر عاشوا فقراء أذلاء بعد أن صودرت

أملاكهم. أما باقي المجتمع فقد أُشربوا هذه الفتنة ونُكست قلوبهم، وامتلأت سوادًا، فأصبحوا يروا الحجاب - وهو شرع الله - تأخر وهمجية، ويروا السفور والعري تقدم ومدنية.

قال ﷺ: **«تُعرض الفتن على القلوب كعرض الحصير عودًا عود، فأي قلب أُشربها نكت في قلبه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكت في قلبه نكتة بيضاء، حتى تعود القلوب على قلبين: قلب أسود مرباد كالكوز مجخيًا لا يعرف معروفًا، ولا يُنكر منكرًا إلاَّ ما أُشرب هواه، وقلب أبيض لا يضره فتنة مادامت السماوات والأرض»** [رواه مسلم].

هذه تجربتي أضعها بين يدي الأجيال القادمة حتى يتجنّبوا المصاعب التي قابلها آباءهم وأمهاتهم من الجيل السابق ممن أُشربوا هذه الفتنة وذاقوا مرارتها، وكانوا ضحية لها، إلاَّ أنني بفضل الله ورحمته قد نجاني منها وقد ذُقت حلاوة الإيمان في طاعة ربي فأردتُ أن أنقلها إلى كل قلب مؤمن، ونقول للذين يهونون من شأن تلك المعصية ويظنون أنهم بصلاتهم يغفر الله لهم:

■ إن الله لا يقبل الصلاة طالما هناك إصرار على المعصية، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) ﴾ [آل عمران: ١٣٤، ١٣٥]، أي أن الإصرار على المعصية يمنع مغفرة ربنا عز وجل، وإنما يغفر الله لمن تاب عن المعاصي وندم ولم يعد لها.

وقال ﷺ عن رب العزة: «**إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتي، وقطع النهار في ذكري، ولم يستطل بها على خلقي، ورحم الأرملة والمسكين، ولم يبت مصراً على معصيتي**» أو كما قال ﷺ. أي أن الإصرار على المعصية يمنع قبول الصلاة وسائر العبادات.

وقال ﷺ: «لا يلج النار من بكى من خشية الله، ولا يدخل الجنة مُصراً على معصية».

■ السفور والتبرج هي مقدمات الزنا التي نهانا ربنا عنها، فهي كبيرة من الكبائر، قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا** ﴿٣٢﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٢]، وقال ﷺ: «**إن المرأة إذا خرجت متعطرة فهي كذا وكذا** (أي زانية) **ولعنتها الملائكة حتى ترجع إلى بيتها**».

■ الرجل الذي لا يغار على أهله يُسمى بالديوث، وهو لا يشم رائحة الجنة.

[٥] من أنكر أمر من أوامر الله فقد كفر، والحجاب أمر من أوامر الله معروف من الدين بالضرورة، قال تعالى: ﴿ **أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ** ﴿٨٥﴾ ﴾ [البقرة: ٨٥]. وأما خزي الدنيا فقد حدث لا على مستوى الأفراد فقط، ولكن على مستوى الأمة الإسلامية، فتكالبت عليها الأمم، وأصبحوا مستضعفين في الأرض، ونعوذ بالله من عذاب الآخرة.

[٦] الموضة التي تجري وراءها المرأة تأتي من بلاد الكفر من النصارى واليهود، وقد نهانا ربنا أن نتخذهم أولياء،

وإلاّ كنّا منهم، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [المائدة: ٥١]، وقال ﷺ: «**من تشبّه بقوم فهو منهم**»، وقد أمرنا ﷺ بمخالفة اليهود حتى في العبادة، فأمرنا بصوم يوم قبل عاشوراء أو بعده.

[٧] انتشر في زماننا هذا الرجل الذي يتشبه بالمرأة والمرأة التي تتشبه بالرجل، وهؤلاء ملعونون على لسان النّبيّ ﷺ: «لعن النّبيّ ﷺ الرجل يلبس لبسة المرأة، والمرأة تلبس لبسة الرجل»، وقال ﷺ: «**ثلاث لا يدخلون الجنة، ولا ينظر إليهم الله يوم القيامة: العاق لوالديه، والمرأة المترجلة، والديوث** (الذي لا يغار على أهله) **والملعون**» وهو المطرود من رحمة الله كإبليس.

[٨] والبنطلون الذي تلبسه المرأة ويُظهر معالم جسدها فتكون كاسية عارية أي كأنها لا تلبس شيئًا، هؤلاء لا يشمون رائحة الجنة، وهنّ من علامات قيام الساعة كما جاء في حديث لرسول الله ﷺ.

فالفرق بين معصية سيدنا آدم عليه السلام وبين معصية إبليس

أن آدم عليه السلام عصى ربه في ساعة غفلة زيّن له الشيطان فيها المعصية، ثم تاب وأقرّ بذنبه عندما عرفه، أما إبليس استكبر على أوامر الله، وأصرّ وجعل نفسه نداً لله، وهذا هو الفسوق والكفر، قال تعالى: ﴿ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ (١٢١) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ (١٢٢) ﴾ [طه: ١٢١، ١٢٢]، وقال تعالى عن إبليس: ﴿ فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٧٣) إِلاَّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٧٤) ﴾ [ص: ٧٣، ٧٤].

وهكذا نجد أن دور المرأة مهم في بناء مجتمع سليم، فإن فسدت فسد المجتمع كله، وإن صلحت صلح المجتمع كله؛ لذا كان أمر إفساد المرأة المسلمة يهم الأعداء، ودائماً يركزون عليه بدعاوى مختلفة وعبارات برّاقة تجذب ضعاف الإيمان إليها، فيا ليت المرأة تنتبه إلى ما يحاك إليها من شراك، وتعرف عدوها، وتُحاربه بطاعة ربها، فهي التي تُربي رجال المستقبل الذين يزودون عن الدين بأرواحهم، ويا ليت المجتمع الإسلامي كله ينتبه إلى هذا الخطر، ويقضي على الفتن، وهي في مهدها، وذلك بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

كيف تربي طفلاً سويًا بدنيا ونفسيًا؟

الطفل هو رجل المستقبل الذي سوف يدافع عن الأمة الإسلامية، والبنت هي أم المستقبل التي تربي الأجيال؛ لذا لابد من الاهتمام بتنشئة الطفل منذ العزم على الزواج بأن يكون الدين هو أساس الاختيار سواء بالنسبة للرجل أو المرأة حتى تقوم العلاقة منذ البداية على المودة والرحمة التي جعلها الله آية من آياته، قال تعالى: ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً** ﴾ [الروم: ٢١]، فإذا وُفق الإنسان للزواج فليحمد الله ويعلم أنها نعمة قد حُرم غيره منها فليحافظ عليها لدوام هذه المودة والرحمة، فالطفل الذي يتربى بين أبوين يسود بينهما الحب والوئام ينشأ نشأة سوية.

فإذا منّ الله على الأبوين بنعمة الولد فليحمدوا الله على هذه النعمة؛ لأن غيرهم قد حُرم منها، قال تعالى: ﴿ **لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (٥٠)** ﴾ [الشورى: ٤٩، ٥٠]، فلا يتضجر ولا

يسخط من مشاكلهم بل يصبر، ويعلم أن الله يُعين على تربية الأولاد ويرزقهم.

والعناية بالطفل تبدأ منذ خلقه في رحم أمه فلابد للأم من تغذية سليمة وتختار الأطعمة التي تساعد على هدوء النفس والسكينة مثل التمر، فيولد الطفل هادئ الطبع حليم.

وبعد الولادة لابد أن تحرص الأمة على إرضاع الطفل حولين كاملين إن استطاعت، فقد ثبت علميًا أنه لا مثيل للبن الأم حيث أنّه يحتوي على أجسام مضادة للأمراض بالإضافة إلى فوائد جمة لا مجال لذكرها كما أن عملية الرضاعة تُعطي الطفل الإحساس بعطف الأم وحنانها، وعند الفطام لابد أن يكون تدريجيًا؛ حتى لا يشعر بقسوة الانفصام عن أمه، فتؤثر على نفسيته مستقبلاً.

فإذا بلغ الطفل السنتين يبدأ في التعرف على ما حوله، فيأخذ كل ما تناله يده ليلعب به أو ليفحصه، ويمكن أن يُتلفه أو يكسره وفي هذه الحالة لابد أن تعامله الأمة برفق، فلا تنهره أو تضربه؛ لأنه لا يعي نتيجة فعله هذا، ولكنه يعرف فقط أن أمه التي يحبها قست عليه، فيبكي ويلجأ

إلى مزيد من التدمير انتقامًا لهذه القسوة، وإذا عادت إلى الضرب مرة أخرى زاد عنادًا وتدميرًا.

والأفضل هو أن تحتفظ الأم بكل ما تخاف عليه بعيدًا عن يد الطفل وإذا وقع في يده شيئًا وأتلفه، لابد أن تقابل ذلك بالصبر والحلم، بل والابتسام أيضًا، وإذا أراد الطفل شيئا لا تُريد أن تعطيه إياه، فلا تمنعه ولكن تصرفه عنه إلى شيء آخر يحبه، ثم تُخفي الشيء الذي لا تريد أن تُعطيه وهكذا يكون التحايل في معاملة الطفل حتى السابعة من عمره ملاطفة وحب وحنان، هكذا علّمنا رسولنا الكريم، فقد دخل عليه رجل وهو يقبل الحسن فقال الرجل: إنّ لي عشرًا من الأولاد لم أُقبل أحدًا منهم. فقال ﷺ: «**من لا يرحم لا يُرحم**». وقد ثبت علميًا أن شخصية الطفل تتشكل في هذه السن الصغيرة، فإذا شبّ على هذه المعاملة كان شخصًا سويًا يُحب الخير وعمله، ويكره الشر وعمله، ويتسامح مع الآخرين، فإذا أضفنا إلى ذلك تعليمه علوم الدين وحفظ القرآن وحكايات الأنبياء والصالحين ويكون الأبوين مثلاً

حي لحسن الخلق، فلا يكذبان عليه، وإذا وعداه بشيء لابد من الوفاء به حتى لا يفقد الثقة بهما وبكل الناس.

فإذا بلغ الطفل السابعة يُعلمانه الصلاة في أول وقتها، حيث أن الصلاة تنهاه عن الفحشاء والمنكر، ثم تبدأ الأم في تأديبه فإذا أخطأ عوقب، وإذا أحسن أثنيت عليه بالكلام الطيب، والهدايا؛ لإعطائه الثقة في نفسه.

وإذا شبّ الطفل وأصبح له أصدقاء لابد من مساعدته في اختيار الصديق ذو الخلق الحميد؛ لأن المرء على دين خليله، كما قال ﷺ، كذلك توجهه إلى الاستفادة من وقته بقراءة الكتب العلمية والدينية والثقافية وممكن أن يتعلم حرفة يستفيد منها عندما يكبر، وتعليم البنت إدارة المنزل والطهي وكل ما يتعلق بشئون الأسرة.

وهكذا يتكون مجتمع المستقبل من شباب على خُلق ودين، يتحملون مسئولية أسرهم ومجتمعهم الذي يعيشون فيه، فتنهض الأمة وترتقي.

ومما يساعد الأم على أداء هذه المهام الجسام هو تنظيم

وقتها والاستفادة من كل دقيقة وتُحاول أن تؤدي أعمال المنزل أثناء نوم الطفل؛ لتتفرغ له عند استيقاظه.

كل ذلك هو ما في قدرتنا، إلا أن قدرة الله فوق كل شيء؛ لذا كان لابد من التوجه إلى الله عز وجل بالتضرع والدعاء لصلاح الذرية، ومن أحسن الدعاء هو ما علمنا ربنا إياه في سورة الفرقان في صفات عباد الرحمن، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾ [الفرقان: ٧٤]، وقرة العين هي أن يرى الأبوين الأبناء مقيمين على طاعة الله عز وجل.

وأذكر في هذا الصدد أن هناك إحصائية تقول أن الطفل المصري يُولد على أعلى درجة من الذكاء بالنسبة لأطفال العالم كله، إلاّ أن طريقة التربية هي التي تجعله مُتخلفًا علميًا وثقافيًا، والدليل على ذلك أن علماؤنا عندما يذهبوا إلى الخارج يتفوّقون على قرنائهم ويحصلوا على أعلى الدرجات العلمية.

٥- الرشوة والمحسوبية:

وهذه أيضًا من أشد المنكرات التي شاعت في المجتمع المصري، ولو عرف الناس عقابها ما أقدموا عليها، قال ﷺ: **«لعن الله الراشي والمرتشي، والرائش»**، فالراشي ملعون قبل المرتشي؛ لأنه لو لم يكن هناك راشي ما كان هناك مرتشي.

وقد زيّن الشيطان لهم هذا العمل بأن أسموه بمسميات أخرى مثل هدية أو إكرامية أو صدقة؛ لأنهم محتاجون، وما إلى ذلك من المسميات، حتى لا يأنبهم ضميرهم.

فإن كانت هدية كما يزعمون فقد حرّمها رسولنا الكريم ﷺ، فقال ﷺ: **«ما بال الرجل نستعمله ثم يأتي، فيقول هذا لكم، وهذا أُهدي إليَّ، أفلا قعد في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته»**.

وللأسف بعض العلماء أباحوها لقضاء حاجة الإنسان إذا اضطر ولا عليه وزر، وماذا في هذه الدنيا يساوي أن أبيع به الآخرة، لا شيء مهما عظم قدره وأهميته، بل العكس إذا أصرّ الإنسان أن يأخذ حقه دون اللجوء إلى ما يُغضب الله،

سوف يُيسّر له الله أمره ويقضي حاجته، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿٤﴾ ﴾ [الطلاق: ٤].

والراشي ملعون قبل المرتشي؛ لأنه يحرضه على فعل المنكر، وبعد ذلك يستحله، بل ويجعلها إتاوة يفرضها على الناس، و هذا ما حدث، فاستشرت هذه الظاهرة وأصبح الناس كلهم ملعونين والعياذ بالله، فتعطلت مصالحهم وخربت ذممهم، ولم يجني المجتمع إلاّ الخراب، قال تعالى: ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الروم: ٤١]، فإذا وصلت الرشوة إلى القضاء والشرطة كانت الطامة الكبرى؛ لأنهم المختصين بأمن وسلامة المجتمع.

٦ - أكل أموال الناس بالباطل:

ويدخل في ذلك كثير من المعاملات المالية منها على سبيل المثال لا الحصر:

[١] الغش في البيع والشراء: قال ﷺ: **«من غشّنا فليس منّا»**.

[٢] تطفيف الميزان ويدخل في ذلك المغالاة في سعر

السلعة والفصال الذي يبخس سعر السلعة، قال تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝ ﴾ [المطففين: ١ - ٣].

[٣] عدم الوفاء بالعقود والتحايل للاستيلاء على أملاك الناس من عقارات وأراضي، وذلك بواسطة محامين ليس لهم ضمير، همهم جمع المال لا يُبالي أحدهم أهو حلال أم حرام، ويدخل في ذلك قانون الإيجارات القديم والتعامل به، فقد حرمه كثير من المشايخ والعلماء، فهذه عقود فُرضت على الناس من قبل السلطة بدون تراضي بين الطرفين، وكل عقد قائم على عدم التراضي فهو باطل، ولابد أن يكون بمدة محددة؛ لأنه عقد إيجار وليس تمليك، فلا يصح توريثه إلاَّ برضاء من المالك، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ [المائدة: ١].

[٤] التهاون في سداد الديون وأكلها في كثير من الأحيان، حتى بين الأقارب، وكان ﷺ لا يُصلي على من مات وعليه دين.

[٥] أكل أموال اليتامى والضعفاء في الميراث والتحايل لمنع بعض أصحاب الفروض من حقهم في الميراث كما يكتب الأب ما يملكه لبناته؛ حتى لا يشاركهم أعمامهن في الميراث، وقد توعّد الله من يفعل ذلك، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [النساء: ١٤].

[٦] بخس مهر المرأة أو استيلاء الزوج عليه أو إرغامها على تجهيز بيت الزوجة، فيُعطي باليمين ليأخذ بالشمال، مع أن المهر عطية خالصة للمرأة، ليس لوليّ أمرها، ولا لزوجها حق فيه، قال تعالى: ﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ﴿٤﴾ ﴾ [النساء: ٤]. ونِحْلَة تعني عطية بدون مقابل، أما أن يفرض عليها تجهيز المنزل، فهي غير مكلفة بذلك ولا يوجد في أي بلد إسلامي هذا العرف، إلاّ في مصر ، وإذا كان العرف يُخالف الشرع فلا إكراه فيه، ولو علم الزوج أن ما ينفقه على المرأة يعود إليه أضعافًا مضاعفة لما فعل ذلك، قال ﷺ: «**دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار أنفقته**

على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك خيرهم ما أنفقته على أهلك» فهو نفقه وصدقة في آن واحد؛ لذا سمى المهر صداق فهو مشتق من الصدق، وقال ﷺ: **«اليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول»** واليد العليا هي التي تُنفق، والسُفلى هي التي تأخذ.

[٦] استيلاء الموظف على ما تحت يده من عهد: كما يحدث في الوظائف الحكومية والشركات، مثل استخدام الأجهزة كالتليفون أو الأجهزة الطبية في المستشفيات والأدوية في الصيدليات، واستخدام آلات التصوير.

ولو استطردنا في سرد ما تحت هذا العنوان من معاملات مالية فاسدة لاحتجنا إلى مجلدات.

٧- قسوة القلوب وعدم التراحم بين أفراد المجتمع:

وهذه نتيجة حتمية لخروج الناس عن شرع الله تعالى، كما سبق أن أوضحنا، ومن مظاهر هذه القسوة:

[١] قسوة الوالدين على أولادهما، وهذا مخالف للفطرة، فقد وصّى الله الأبناء بالوالدين، ولم يوصِ الوالدين؛ لأنه من الطبيعي أنهم يرحمونهم بالفطرة، ولكن ما

يحدث الآن غير ذلك، فنرى الأب لا همّ له إلاّ جمع المال، ولا يُعطي أولاده شيئًا من وقته، وقد يُسافر في أقصى البلاد؛ ليبعث لهم بالمال الوفير، ولكن هم يفتقدون عطفه وحنانه وتوجيهه لهم إلى ما يصلح حالهم، وكذلك الأم تخرج للعمل وكثير منهن غير محتاجات للمال وتترك أولادها للمربية التي تعاملهم بقسوة هي الأخرى أو المدرسة التي تضرب وتشتم، فإذا كانت الأم لم ترحم أولادها، فهل تنتظر من الغريب أن يرحم، وإذا عادت إلى المنزل مرهقة من العمل لابد أن تشتم وتضرب، وهكذا نجد الطفل ينشأ في جو مشحون بالتوتر وقساوة القوب، فينشأ طفلاً غير سويّ، عدواني بطبعه، يثور لأتفه الأسباب، ويضرب زملائه، ويفرغ ما في صدره من غل في تمزيق أو تكسير الأشياء، وإذا شبّ كان رجلاً عدوانيًا أيضًا يعامل الناس بغلظة وفظاظة؛ لأن فاقد الشيء لا يعطيه. ثم يجني الآباء نتيجة هذه القسوة

عند كبر سنهم واحتياجهم لأبنائهم، فلا يجدوا منهم برًا ولا رحمة بهم، بل العقوق والقسوة التي نهى الله الأبناء عنها، قال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا (٢٣) ﴾ [الإسراء: ٢٣].

أما في الأوساط الشعبية فنجد ضرب الأولاد بقسوة وغلظة، يدفعهم إلى الهروب للشارع، إما الشحاذة أو السرقة، وقد كثر أمثال هؤلاء، وعندما يكبروا يصبحوا عالة على المجتمع، والفاسق منهم يصبح خطرًا على المجتمع.

[٢] قسوة الرجال على زوجاتهم، وقسوة النساء على أزواجهن: وذلك مخالف أيضًا للفطرة، فقد جعل الله المودة والرحمة بين الأزواج من آياته، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ

يَتَفَكَّرُونَ (٢١) ﴾ [الروم: ٢١]، وقال ﷺ: «**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**»، وقال ﷺ في حجة الوداع: «**استوصوا بالنساء خيرًا**». وتجد كثيرًا من الرجال يعاملون زوجاتهم بقسوة قد تصل إلى حد الضرب المبرح، كما يقصر في الإنفاق عليها، وأحيانًا كثيرًا يستولي على أموالها.

وأما الزوجات فلم تعد زوجة تعطي لزوجها حقه الذي أوجبه الله عليها، حيث قال ﷺ: «**لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت الزوجة أن تسجد لزوجها**»؛ لعظم حقه عليها. وقال تعالى: ﴿ **الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ** ﴾ [النساء: ٣٤].

[٣] قطيعة الرحم: فأصبح كثير من الناس لا يعلمون شيئًا عن أقاربهم إلا إذا احتاجوا منهم شيئًا، ولا مانع من أن يأكل الأخ حق أخيه في الميراث، و إذا كان في

الأسرة محتاج، سواء كان فقيراً أو يتيماً يتهرب الكل منه، ويشعر بأنه عبء ثقيل، مع أن الرسول ﷺ قال: «**الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي رحم صدقة وصلة رحم**»، وقال تعالى: ﴿ **وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا** (٣٦) ﴾ [النساء: ٣٦]. وقال ﷺ: «**من أراد أن يبسط له في رزقه، ويُنسء له في أجله، فليصل رحمه**» [رواه البخاري (ص٣٤، ٣١)] وحذر ﷺ من قطيعة الرحم فقال: «**لا يدخل الجنة قاطع رحم**».

[٤] الجيران كانوا في سالف الأزمان أهلاً، بل كانوا أكثر من الأهل، وقد سميَ الجار جاراً؛ لأنه أول من يُجير في الشدة، أما الآن فلا تجد جار يعرف اسم جاره ولا شيئًا عنه، بل قد يصل الأمر إلى حدّ إيذائه، وفي الآية السابقة أوصانا ربنا عز وجل بالجار القريب والبعيد، فقال ﷺ: «**مازال جبريل يوصيني بالجار**

حتى ظننت أنه سيورثه» [رواه البخاري] .

وقد وصلت قسوة القلوب بين أفراد المجتمع إلى حد الجريمة، فأصبحنا نسمع عن جرائم ما كان لها وجود قبل ذلك، فتسمع عن أب قتل أولاده؛ للتخلص منهم بدون ذنب جنوه، وزوجة تقتل زوجها لكي تتزوج عشيقها، وزوج يقتل زوجته؛ لأنها لم تحضر له كوبًا من الشاي، وابن يقتل أمه ليستولي على مالها أو شقتها.

وتقف أمام كل ذلك في ذهول، فهو قليل من كثير لا يتسع المجال لذكره، ولا تستطيع تفسير ذلك، إلاَّ أنه غضب من الله أو أنه علامة من علامات الساعة.

ألم أقل في المقدمة أن العالم أصبح غابة كبيرة يأكل القوي فيها الضعيف، والكبير الصغير، ونُزعت الرحمة من قلوب البشر.

بعد كل ما ذكرنا من منكرات ألا يستحي المسلم عندما يقف بين يدي ربه ليدعوه ويصلي وهو يفعل هذه المنكرات، أو يعيش في مجتمع يفعل هذه المنكرات، ولا

يتحرك لتغييرها، فالساكت عن الحق شيطان أخرس، والذي يرى جريمة ويسترها فهو مشارك فيها؛ ألا يستحي أن يقول أنني مسلم أو أنا مؤمن، وهو لم يدافع عن دينه.

أخي المؤمن، من لم يهتم بأمر المسلمين، فليس منهم كما قال رسولنا الكريم ﷺ، لقد بات الشعب المصري أسوأ شعوب المسلمين أخلاقًا وتدينًا، وهذه حقيقة لابد من الاعتراف بها، فلا نضحك على أنفسنا، ولابد أن نعترف بذلك حتى ينصلح حالنا، فالطبيب الماهر لابد له من تشخيص المرض؛ ليصف الدواء، فإذا لم يصل إلى تشخيص المرض عجز عن العلاج.

أخي المؤمن، إننا نعيش جميعًا في سفينة واحدة، إن غرقت غرق الجميع بلا استثناء إلاَّ من رحم ربي، وهو الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، كما سبق أن أوضحنا، وينجي معه المؤمنين أو يُنجي الجميع، طالما فيهم من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، قال ﷺ: **«مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا في سفينة، فكان**

بعضهم في أعلاها، وبعضهم في أسفلها، وكان الذين في أسفلها إذا أرادوا الماء مروا على من فوقهم فتأذوا منهم. فقالوا: لو أنّا خرقنا خرقًا فيها حتى لا نؤذي من فوقنا. فإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعًا، وإن تركوهم وما أرادوا هلكوا وهلكوا جميعًا» [رواه البخاري].

ليس ذلك على مستوى أفراد مجتمعنا فقط، ولكن لابد أن يكون على مستوى الأمة الإسلامية كلها، فلابد من كل دولة إسلامية أن تناصر وتُدافع عن أي دولة أخرى يُعتدى عليها، و أن يكونوا يداً واحدة على أعداء الإسلام، وإلاّ سوف تغرق بهم السفينة.

وها نحن نرى المستعمر يُظهر عداوته للإسلام والأمة الإسلامية ويُعلنها حربًا، وقد بدأ بأفغانستان، ولم يتحرك أحد، بل كان من سانده من المسلمين، وبعدها كانت العراق، والبقية تأتي.

وكما أشهروا السلاح المادي كذلك أشهروا السلاح المعنوي، وهو الحرب الإعلامية فهم يفترون على الإسلام

بأقوال كثيرة، منها: أن سبب تأخر المسلمين هو تمسكهم بثوابت دينهم - يعنون القرآن والسنة - ويدعون أنه منقول عن السلف، وأن المسلمين لا يعملون عقولهم، وأن هناك تعارض بين العقل والنقل.

والحقيقة أن سبب تأخر المسلمين هو عدم تمسكهم بجوهر الدين؛ ولذا شاعت المنكرات التي لا تمتّ للإسلام بصلة، فأصبحوا وصمة عار على الإسلام، ومثلاً سيئًا لمن أراد الدخول فيه، ولو أن المسلمين اتبعوا أوامر الله لأنار الله عقولهم وفازوا بخيري الدنيا والآخرة ولنصرهم الله على أعدائهم، قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ** ⑦ ﴾ [محمد: ٧].

فلا تعارض بين ما جاء في القرآن والسنة وإعمال العقل، بل إن العلم أثبت كثيراً من الحقائق العلمية التي جاءت في القرآن والسنة، فالذي أنزل القرآن هو الذي خلق العقل وهو الذي علّم الإنسان، قال تعالى: ﴿ **الرَّحْمَنُ** ① **عَلَّمَ الْقُرْآنَ** ② **خَلَقَ الإِنسَانَ** ③ **عَلَّمَهُ الْبَيَانَ** ④ ﴾ [الرحمن: ١-٤]،

وقال تعالى في أول سورة نزلت على الرسول ﷺ: ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١)** ﴾ [العلق: ١]، ولكن الإنسان يطغى بهذا العلم، وصدق ربنا عندما قال: ﴿ **عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ (٦) أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ (٧)** ﴾

[العلق: ٥ - ٧].

فالكافرون لا يؤمنون بأن القرآن منزل من عند الله تعالى، بل هو منقول عن البشر من السابقين، ويُريدون أن يُقنعوا المسلمين بهذه الدعاوى؛ لكي يزيدوا المسلمين ضلالاً على ضلالهم، فيتركوا ما بقى ومازالوا يتمسكون به، أما الذي يقرأ عن الإسلام ويعرف حقيقته فإنه يدخل في دين الإسلام.

الخاتمة

ونختم هذا الكتاب بالسؤال الذي حيّر كثير من المهتمين بحال الأمة الإسلامية:

ما الطريق إلى تقدم الأمة الإسلامية ونهضتها من كبوتها هذه؟

البعض يقول: إنه في تماسك الأمة ووحدتها على مستوى الدول وعلى مستوى الأفراد، وهذه حقيقة فعلاً، ولكن هذا لا يحدث إلاّ بأمر الله، فهو الذي يؤلف بين القلوب، وذلك مشروط بطاعة الله ورسوله، قال تعالى: **﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٣) ﴾**

[الأنفال: ٦٣].

والبعض الآخر يراه في جهاد أعداء الإسلام، وهذا عظيم أيضًا، ولكن كيف يجمع المسلمون جيشًا من أفراده ليس

في قلوبهم حمية على الدين، وعقولهم خاوية من معاني القران، ويتمسكون بزخارف الدنيا وزينتها، ويؤثرونها على الآخرة، هل تنتظر من مثل هذا الجيش نصرًا، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ ﴾ [محمد: ٧]، ونصر الله هو في طاعته والعمل بشرعه.

وآخرين يرون تغيير الحكام هو السبيل حتى يحكم المسلمون من يُنفذ شرعه، وهذا جميل، ولكن هذا الكلام مردود عليه بأن الحاكم هو فرد من هذه الأمة، فإذا صلحت الأمة حكمها واحد منهم صالح أيضًا، فيحكم بشرع الله، فالأوامر إذا جاءت قهرًا، كرهها الإنسان إن لم يكن الإيمان بالله قد ملأ قلبه، قال ﷺ عن رب العزة جل وعلا: «**أنا ملك الملوك أطيعوني أعطفهم عليكم**».

فطاعة الله لابد أن تبدأ من القاعدة لا من القمة؛ لكي تُبني الدولة الإسلامية على أساس متين ثابت لا ينهار لاتفه الأسباب، وأما القول الذي ظاهره حق ويُراد به باطل، فهي الأصوات التي تنادي بالديمقراطية والحرية والعلم

والتكنولوجيا، وتُروّج أقوال أعداء الإسلام بأنّ تمسكنا بثوابت الدين هي سبب تأخرنا ولابد من إعمال العقل.

والبعض يرى أن تعلم علوم الدين وحفظ القران وتجويده هو السبيل، فاتجه كثير من الشباب هذا الاتجاه، وفتحت المعاهد الأزهرية أبوابها لكل من يرغب في ذلك وأُجريت المسابقات في حفظ القرآن الكريم، وهذا أيضًا شيء محمود لا غبار عليه.

ولكن ليس هذا هو السبيل لإصلاح الأمة؛ لأنه لو لم يترجم هذا العلم إلى عمل فيصبح العلم نور يمشي به العالم بين الناس، فيُعلم الجاهل ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يكون أشبه بمن أُعطي مصباح ليضيء به للناس فمشى به دون أن يوقده، فسار في الظلام يتخبط وسار الناس وراءه يتخبطون، فضلّ وأضلّ.

قال تعالى: ﴿ **أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٢٢)** ﴾ [الملك: ٢٢]. وقال تعالى: ﴿ **أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن**

مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

وهذا ما حدث للأمة الإسلامية، فهي مليئة بحفظة القرآن، أما المساجد فما أكثرها ومنابرها يعتليها علماء أفاضل يخطبون الخطب البليغة كل جمعة.

إذن لماذا هذا الجهل بالدين الذي يعم الأمة الإسلامية؟ لماذا كل هذه المنكرات التي تتفشّى في المجتمع الإسلامي لدرجة أنه وصل الحال في الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي – وكلنا نعلم ذلك – أن اختفى حجاب المرأة تمامًا من المجتمع المصري، وبعض المجتمعات الإسلامية في شمال إفريقيا، وهو شيء معروف من الدين بالضرورة، جاء في القرآن الأمر به، وتوارثته الأجيال جيلاً بعد جيل، فكانت المرأة تلبس الملاءة تلف بها جسمها ووجهها، إلى أن حدثت الفتنة التي أدّت إلى هذا الحال.

أين كان الأزهر وعلماؤه؟ أين كان حفظة القرآن؟ وكيف تركوا المجتمع يصل إلى هذا الحد؟.

لابد أن يكون هناك حلقة مفقودة كانت تفصل بين المجتمع والعلماء، هذه الحلقة هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأن هذا العمل دعوة مباشرة بين العالم والجاهل، فيعرف أنه يرتكب منكرًا فيرجع عنه، خاصة إذا أنكره أكثر من واحد، إن لم يكن المجتمع كله.

وسوف أسرد لكم واقعة عايشتها بنفسي لأثبت لكم هذه الحقيقة، فقد كنت أسير يومًا بجانب أحد المساجد في شهر رمضان الكريم، وهذا المسجد يعمل بسُنَّة الله ورسوله ويرتاده ذوي اللحى ويخطب فيه علماء أفاضل وبه معهد للدعاة، و أثناء سيري لفت نظري منظرًا أنكرته، فقد كان رجلاً يفرش الأرض بصور الممثلين والممثلات، طبعًا ليبيعها للشباب!!.

أليس في ذلك منكرًا وانتهاك لحرمة الشهر الكريم؟ أليس ذلك مالاً حرامًا يأكله هذاالرجل وأمثاله؟ أليس ذلك ترويج للفواحش؟ ألم يمر على هذا الرجل أحد من رواد هذا المسجد وطلاب ذلك المعهد الذي يُخرّج الدعاة؟

فلو كان أحدهم غضب لله ونهر هذا الرجل لما استطا أن يفعل فعلته تلك، لا أقول هذا الكلام انتقاصًا من قدر العلم والعلماء، ولكن إظهارًا وإثباتًا لأهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي به ينصلح حالة الأمة.

فالطريق الصحيح الذي أرشدنا إليه ربنا عز وجل هو الاعتصام بحبل الله المتين وسُنّة رسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا** ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقال ﷺ: «**تركتُ فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلوا بعدي أبدًا: كتاب الله وسُنّتي**».

والاعتصام بحبل الله هو العمل بشرعه، فإذا فعلنا ذلك ألّفَ الله بين قلوبنا، وهذا أول طريق الوحدة الذي يؤدي إلى القوة، و لكن ما السبيل إلى الاعتصام بحبل الله؟ نجد الجواب في الآية التالية، قال تعالى: ﴿ **وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤)** ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وحذرنا ربنا عز وجل في الآية التالية لهذه الآية من الفرقة والاختلاف؛ لئلا ينزل علينا غضبه، قال تعالى: ﴿ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم (١٠٥) ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

فإذا فعلنا ذلك تحقق للأمة خيريتها التي وعدنا الله بها، قال تعالى: ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ [آل عمران: ١١٠].

مما سبق اتضح لنا جليًا أن الطريق إلى خيرية الأمة وعزها ومجدها هو العمل بشرع الله عز وجل، كلٌّ بقدر استطاعته، وأما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهي المصابيح التي تضيء لنا هذا الطريق، فهما صنوان لا ينفصما أبدًا، وبذلك نتلمس خطانا على طريق النهضة، فتزداد الأمة علما ونورًا، ويزداد الطريق اتساعًا ونورًا، فنسرع الخطى إلى ما يتمناه كل مسلم محب لدينه ولأمته، محب لله ورسوله الكريم ﷺ من رفعة وعزة وكرامة.

ربنا عليك توكلنا، وإليك أنبنا، وإليك المصير، ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا، ربنا إنك أنت العزيز

الحكيم، ربنا لا تُزغ قلوبنا بعد إذْ هديتنا وهبْ لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب، ربنا لا تُؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به، واعفُ عنّا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين.

اللهم اجعلنا من عبادك المخلَصين الذين ليس للشيطان عليهم سلطان، اللهم اجعلنا من الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، والحافظين لحدودك، اللهم اجعل خير أعمالنا خواتيمها، وآخر كلامنا شهادة أن لا إله إلاّ الله، وخير أيامنا يوم لقاك، ومتعنا بالنظر إلى وجهك الكريم، اللهم إنّا نسألك رضاك والجنة ونعوذ بك من سخطك والنار.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم وللمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات، وصلى الله على سيدنا محمد في الملأ الأعلى إلى يوم الدين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الفقيرة إلى الله

د. سهير العلايلي

فهرس

مقدمة ٣
مكانة العقل في الإسلام ٩
مكانة العلم والعلماء في الإسلام ١٦
تفاوت الناس في درجة تقبلهم للعلم ٢٥
سبب إعراض الناس عن الهدى ٢٧
القرآن أمانة في أيدي المسلمين ٣٩
الصعوبات التي واجهها الرسل ٤٧
مهمة الرسل كانت بلاغ وليست هداية ٥٤
وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٥٧
منكرات شاعت في المجتمعات الإسلامية ٨٩
الخاتمة ١٢٨
الفهرس ١٣٦